

السرقة العجيبة

١

وثب بيشو في سيارة الأجرة ، واندفع الى مكتب بارنيت كالعاصفة .
ورحب بارنيت به قائلاً :

- أه هذا جميل منك ، فقد افترقنا في ذلك اليوم بكل برود ، وخشيت أن
تكون غاضباً مني . فما الامر ؟ .. هل أنت بحاجة الى ؟
نعم يا بارنيت .

هز بارنيت يديه في قوة وقال : هذا حسن ، ولكن ما الامر ؟ أن وجهك
شديد الاحمرار ، فهل أنت مصاب بالحصبه .

- لا تسخر يا بارنيت فالموقف عسير وأريد أن أخرج منه مرفوع الرأس
- ما الخبر أنن ؟

- ان الامر يتعلق بزوجتي .

- زوجتك ؟ وهل أنت متزوج ؟

- بل مطلق .. منذ ست سنوات .

- لتنافر الطباع ؟

حدث ، وحصلت على الاذن بالانضمام الى زملائى الذين يقومون بتحقيق الحادث .

سأله بارنيت : وماذا تخشى ؟

أجاب بيشو في لهجة يرثى لها : أخشى أن أراها ثانية !

- أما زلت تحبها ؟

- عندما أرها تسرى الرعشة فى قلبى من جديد ، ويجف حلقى وأتلعثم .. فهل تتصور تحقيقاً فى هذه الظروف ؟ لن أقدم إلا على حماقات .

- فى حين انك تريد أن تكون على العكس ، وقورا أمامها ، وأن تكون فوق ذلك على مستوى سمعتك ؟

- تماماً .

- صفوة القول انك تعتمد على ؟

- نعم يا بارنيت .

وما هو سلوك زوجتك ؟

- لا غبار عليه ، لولا تلك النزعة التى تتملكها لبقيت مدام بيشو حتى اليوم .

قال بارنيت فى لهجة الجد وهو يأخذ قبعته :

- وبذلك يخسر الفن خسارة كبيرة .

وبعد بضع لحظات بلغا شارعاً من أهدأ الشوارع وأقلها ازدحاماً ، بالقرب من حديقة لكسمبورج . وكانت أولجا فويان تقيم فى الطابق الثالث والأخير من بيت جميل ، نوافذ طابقه الأرضى مرتفعة ومزودة بقضبان

- كلا . وانما لأنها تتصاع لرغباتها .

- ومن بينها الانفصال عنك .

- أرادت ان تشتغل بالمسرح . هل تفهم الان ؟ .. زوجة مفتش بوليس !

- وهل أصابت نجاحاً ؟

- نعم فهمى تغنى .

- فى الأوبرا ؟

- بل فى مسرح القولى برجير .

- وما أسمها ؟

- أولجا فويان .

- تلك المغنية التى تقوم بالألعاب الجهلونية ؟

- نعم .

عبر جيم بارنيت عن حماسه قائلاً :

- على كل نهانتى يا بيشو فان أولجا فنانة موهوبة . وأغنيبتها الاخيرة ' ايزيسور يحيى ولكننى أحب جيم ' تدل على فن كبير .

قال بيشو : أشكرك ، لقد جاءتى هذه البرقية منها ، وهى مؤرخة بتاريخ صباح الامس .

وقرأ : سرقوا غرفة نومى ، وكانوا يقتلون أبى فتعال : أولجا .

قال بارنيت : ان الكلمة ' كانوا ' هذه تدل على عبقرية !

عاد بيشو يقول : وقد اتصلت تلفونياً بإدارة الامن ، وهم على علم بما

حديثة . وقال بيشو :

- كلمة أخرى ، وهي أن تكف هذه المرة عن مزاعمك وادعاءاتك التي تعيب تعاوننا .

قال بارنيت : ان ضميري ..

قاطع بيشو قائلاً : دع ضميرك في هدوء ، وفكر في ضميري أنا ، وفي اليوم والتوبيخ اللذين ألقيهما منه .

- هل تظنني جديراً بأن أسلب من أولجا فويان شيئاً ما

- إنني أطلب منك أن لا تسلب شيئاً من أي أحد .

- حتى أولئك الذين يستحقون ذلك ؟

- دع العدالة تتولى عقابهم .

تهده بارنيت وقال : هذا أمر غريب حقاً . ولكن ما دعت تريد ذلك .

كان أحد رجال الشرطة يحرس الباب وآخر يلازم البواب وزوجته في غرفتها ، وقد مزهما الحادث كثيراً . وعلم بيشو أن مأمور الحى وشرطيين قد خرجوا من البيت ، وأن قاضي التحقيق قد انتهى من تحقيق مبدئى . وقال يخاطب بارنيت :

- يمكننا ان نتنزه الفرصة الآن حيث لا يوجد أحد .

واستطرد يقول وهما يصعدان :

- هذا بيت قديم لا يزالون يحتفظون فيه بتقاليد الماضي ، فالباب ، يبقى مثلاً مطلق دائماً ولا يمكن لأحد أن يدخله إلا بعد أن يقرعه . يقيم فى

الطابق الأول قسيس ، وفى الطابق الثانى قاضى ، وتقوم زوجة البواب بخدمتهما . أما أولجا فتقطن فى الطابق الثالث وتعيش حياة محترمة بين أمها وخادمتها المتقدمين فى السن واللذين أشرفتا على تربيتهما .

فتح الباب لهما . وقال بيشو : تقع غرفة أولجا ومخدعها على يمين الرواق ، وعلى اليسار غرفتى الأم والخادمتين ، وأمام الرواق ستوديو للرسم تحول الى قاعة للرياضة ، بها عمود مثبت وأرجوحة وطلقات وأدوات كثيرة متفرقة بين المقاعد والأريكة .

وما أن دخلا تلك القاعة حتى هبط شىء من الفتحة الزجاجية التى يدخل منها نور النهار . وكان ذلك الشىء شاباً وسيماً يغطى رأسه شعر أشقر أشعث ، وتحت بيجامته المشدودة حول جسده غرف بارنيت أولجا فويان وصاحت على الفور بلهجة ريفية :

- أسمى تتمتع بصحة جيدة كما تعلم يا بيشو . وهى ناشئة الآن . ان امي العزيزة لمحظوظة حقاً .

وقامت بحركة رياضية فارتكزت برأسها فوق الأرض ، ورفعت قدميها فى الفضاء وراحت تفتى بصوت رنان ، مثير ومبجوح « ايزيدور يحبنى ولكنني أحب جيم »

وقالت وهى تنهض : وأحبك أنت أيضاً يا عزيزى بيشو . نعم ، جميل منك أن أتيت بهذه السرعة .

وقدم بيشو زميله قائلاً .

- صديقى . جيم بارنيت

وكان يحاول ان يتمالك نفسه ولكن عينيه الزائعتين وحركاته العصبية

كانت تتم عن اضطرابه وبلبلته . وقالت :

- حسن . سوف نكتشفان معا غموض هذه المسألة . وتعيديان الى غرفة نومي . فهذا من اختصاصكما . أه . وأقدم لكما بدوري دل بريجو . استاذ الرياضة التديك وقتون المكياج . وهو في نفس الوقت تاجر منتجات التجميل الذي يخطي بشهرة كبيرة في عالم المسرح . والذي لا مثيل له في إعادة الشباب وتعليم الحركات البهلوانية .. دل بريجو .

انحنى دل بريجو .. كان عريض الكتفين . نحاسي البشرة . له وجه يشوش لهرج عجوز ويرتدى ثياباً سمراء وزوجان من القفازات البيضاء اللون وقمطاً أبيض ويمسك في يديه قبعة من اللباد ذات لون فاتح . وراح يلوح على الفور ويلتج بالراء ويمزج باللغة الفرنسية التي يتكلمها ولكنه اجنّب كلمات أسباني وانجليزية وروسية . وأراد ان يعرض طريقته في تعليم الحركات الرياضية البهلوانية . ولكن أولجا قاطعته قائله :

- لا يجب أن نضيع الوقت . ماهي المعلومات التي تريدها يا بيشو ؟

قال بيشو : دجينا . قبل كل شيء ترى غرفتك .

- حسناً . هلموا بنا إليها .

وثبتت مرة واحدة وتعلقت بالأرجوحة . ودفعتها هذه الى الخلقتين وأسرعت بالهبوط منها أمام باب وقالت :

- ها نحن بها .

كانت الغرفة عارية تماماً . لا فراش ولا مفروشات ولا سنانير ولا لوحات ولا مرايا ولا سجاد ولا تحف .. ولم يعد فيها شيء على الإطلاق غرفة عارية أفرغها الصوف من كل شيء .

وراحت تقهقه ثم قالت : ما رأيكما ؟ أنهم أدخلوها من كل ما كان فيها . بل انهم أخذوا أدوات التجميل وفرشاة الشعر . ويخيل الي أنهم أخذوا منها كل ما كان فيها من غبار .. كنت أعجز جداً بغرفتي .. فهي من طراز لويس الخامس عشر .. اشترت مفروشاتها قطعه قطعة .. الفراش سبق أن رقدت فيه مدام دي بومبانور .. وأربع لوحات لبوشية وطاولة تاريخية .. وروائع .. ابتعتها كلها بنقودي التي ربحتها في جولتي بأمریکا .

وقامت بحركة بهلوانية عنيفة . شديدة الخطر . ثم هزت شعرها وصاحت في مرج :

- ولكن لا بأس . سأبتاع غيرها . فانا . بفضل عضلاتي المرنة وصوتي المبحوح . ولا أعاني من أية ضائقة . ولكن ماذا بك لكي تنظر الي هكذا بايشو ؟ يخيل إلي دائماً أنك ستقع عند قدمي مغمي عليك . تعالي لكي أقبلك ثم ألقى على ما تشاء . من أسئلة . ولنفرغ من الأمر قبل قدوم رجال النيابة .

قال بيشو : اذكرى لنا ما حدث .

قالت : ليس هناك الكثير . إليك ما حدث في منتصف الساعة العاشرة مساءً أمس .. ويجب أن أقول لك أنني قد خرجت من الساعة الثامنة مع دل بريجو . فقد رافقتني الي القولي برجيو بدلاً من أمي . لأنها كانت مشغولة في غزل الصوف . دقت الساعة معلنة النصف بعد التاسعة عندما صدرت حركة في غرفتي . فأسرعت أمي إليها . وعلى ضوء مصباح كهربسي أنظفياً على الفور رأت رجل يفك الفراش . وآخر انقض فوق رأسها وألقاها أرضاً في حين أحاط الاول رأسها بمفرش . ثم قام بنقل كل ما في الغرفة . ولم تتحرك أمي ولم تصرخ حتى سمعت سيارة كبيرة تتطلق في الشارع ثم

أغشى عليها .

قال بيشو : بحيث أنك عندما عدت من الغولى بجير ..

- وجدت الباب العمومي للبيت مفتوحاً ، ويا ب مسكنى مفتوحاً هو الآخر ، وأمسى مغشى عليها ، ولا تسل عن دهشتى عندئذ .

- والى بواب وزوجته ؟

- أنت تعرفهما . أنهما متقدمان فى السن ، ويقيمان هنا منذ ثلاثين سنة ولا يزعجهما أى زلزال . لا يوقظهما شيء غير جرس الباب ، وهما يقسمان أن ما من احد طرق الباب منذ ان أويا الى فراشهما فى الساعة العاشرة مساء حتى الثامنة صباحاً .

قال بيشو : ونتيجة لذلك لم يرفعا السقطة التى تفتح الباب .
- هو ذلك .

- والسكان الآخرون ؟

- لم يسمعوا شيئاً هم أيضاً .

- وأنن ؟

- وأنن ماذا ؟

- أغشى ما رأيك فى ذلك يا أولجا .

احتكت المرأة الشابة قائلة :

- أن أمرك عجيب . وهل من شأنى أن يكون لى رأى ؟ أنك لتبدو حقاً غيبياً كرجل النبابة .

قال فى ارتباك : ولكننا لم نبدأ بعد .

- ألا يكفيك كل ما ذكرت لك كى تجلو الامر ؟ إذا كان المدعو بارنيت غيبياً مثلك فلا أمل فى عودة فراشى الذى رقدت عليه مدام دى بومبادور .

تقدم المدعو بارنيت وسألها :

- فى أى يوم تريدان عودة فراش مدام بومبادور ؟

قالت - ماذا تقول ؟

ونظرت فى دهشة إلى الرجل المضحك . ولم تكن قد أعارته أى اهتمام ، ولكنه عاد يقول فى غير كلفه :

- أريد أن أعرف اليوم والساعة التى تريدان فيها عودة فراشك وكل مفروشات غرفتك .

- ولكن ..

- فلنحدد التاريخ .. اليوم يوم الثلاثاء .. هل يوافقك يوم الثلاثاء القادم ؟ نظرت إليه بعينين مستديرتين متسعيتين ، ويدت كأنها تختنق .

ما معنى هذا الاقتراح الغريب ؟ أترأه يمزح أم يتبجح . وفجأة انفجرت ضاحكة وقالت :

- هذا رجل مضحك حقاً ! من أين أتيت بصديقك هذا يا بيشو ؟ أسبوع ! لكن فراشى فى جيبي . وهل تظن أننى سأضيع وقتى مع رجلين غيبين مثلكما .

ودفعتهما حتى الرواق وهى تقول :

- هيا أغربا عن وجهى . لا أريد أن أراكما بعد اليوم . فلا أحب ان يهزأ بى أحد . انكما لمارحين غريبين !

وأغلقت باب الاستوديو في عنف . وغصم بيشو بأسى .

- ولكن لم تمر بنا هنا أكثر من عشر دقائق .

فحص بارنيت الرواق في اهتمام كبير وهو يلقي بعض الأسئلة على إحدى الخادمتين المتقدمتين في السن . وعندما هبط السلم ، دخل غرفة البواب وزوجته . واستجوبهما هما الآخرين . وعندما خرج وشب الى سيارة أجرة كانت تمر بهما وذكر عنوان مكتبه للسائق في حين وقف بيشو على الرصيف مذهولاً .

وإذا كان لبارنيت أى تأثير على بيشو فقد كان تأثير أولجا عليه اكثر بكثير . ورأى من تلك المقابلة ان بارنيت لم يتخلص من الارتباك إلا بوعد لا يمكن إلا أن يكون نوعاً من التهريج .

وتأكد بيشو من ذلك في اليوم التالي ، عندما مضى الى مكتب بارنيت ووجده جالساً يدخن وقدماء فوق مكتبه . وصاح به محتقناً :

- اذا كنت تهتم بالامر هكذا فسوف تتخبط تماماً . ورغم أنتى بذلك كل جهدى فان رجال النيابة لا يفهمون شيئاً ، ولا أنا على كل حال اننا متفقون طبعاً في بعض النواحي ، ومثال ذلك انه من المستحيل دخول البيت ولو عن طريق مفتاح مصطنع إذا لم يفتح أحد الباب من الداخل . وحيث انه لا يوجد من يمكن الاشتباه فيه في الداخل ، باشتراكه في الأمر فقد انتهينا الى هذين الاستنتاجين الحتميين ، وأولهما أن أحد اللصوص كان بالداخل في نهار اليوم السابق ، وأنه فتح الباب لشريكة . وثانيهما انه لم يستطع الدخول نون أن يراه البواب وزوجته حيث ان باب البيت يبقى مغلقاً دائماً . ولكن من الذى نحل ؟ ومن الذى ساعده على الدخول ؟ سر مستعلق . إذن . ولكن بارنيت لم يخرج عن صمته . بدأ تحريماً تماماً عن تلك المسألة .

واستطرد بيشو :

- وقد وضعوا قائمة بالأشخاص الذين نظوا بالامس . وأكد البواب وزوجته أن كل شخص دخل في ذلك اليوم خرج ثانية . ولئن فليس هناك أى أثر . والسرقاة التى تمت بوسائل بسيطة وبجراحة كبيرة لا تزال سرراً مستعلقا ، فما رأيك في كل ذلك .

تمطى بارنيت ، وبدأ أنه يعود الى عالم الواقع وقال

- أنها جميلة ..

- من ؟ ماذا ؟ .. من هى الجميلة ؟

- زوجتك .

- ايه ؟

- جميلة في الحياة وعلى المسرح .. نشاط وحيوية .. حبهوية مفرطة ! فتاة باريسية حقاً ، وهى فوق ذلك رشيقة وفاتنة .. وفكرة انفاقها مدخراتها لشراء فرائش يومياتور فكرة ظريفة .. انت غير محظوظ . حقاً يا بيشو .

غصم هذا الاخير هو ذلك . وقد تخطى عنى الحظ منذ وقت طويل .

- وكتم استمر هذا الحظ .

- شهر واحد

- وأنت تشكو وتتذمر ؟

وعاد بيشو يوم السبت الى المكتب ووجد بارنيت يدخن ويفكر . ولم يره عليه . وظهر بيشو أخيراً يوم الاثنين وقد شبطت عنته . وقال مرمرجراً

- ليس هناك أى أمل . ان كل هؤلاء الناس هناك أحمقاء . وهى أشاء ذلك

لا بد أن فراش مدام دي بومبادور وغرفة أولجا تهرب الى مكان ما لترسل منه الى الخارج وتباع ذات يوم . وماذا أبدو انا فى عيني أولجا ؟
غيبى !

ونظر الى بارنيت ، وكان هذا الأخير يتابع بعينيه حلقات الدخان المتصاعد من سيجارته حتى سقف الغرفة فاحتد قائلاً :

- وهكذا .. نحن ننازل خصوصاً أشداء لم نلتق بمثلهم قبل اليوم ..
اناس يتصرفون بطريقة خاصة ، خدعة دقيقة بحيث لا يتركون وراءهم أى أثر . والظاهر الذى لا شك فيه انهم أدخلوا شريكا فى البيت وانت لا تحاول حتى اكتشاف هذه الخدعة .

قال بارنيت : ان فيها شيئاً يروقنى أكثر من أى شىء آخر .

قال بيشو : ماذا ؟

- طبيعتها ، وثقافتيتها . لا تصنع فيها ولا رياء . ان اولجا تنطق بما يخطر على بالها . وتتصرف طبقاً لغريزتها ، وتعيش كما يحلو لها . وأعود فأكدر لك يا بيشو أنها امرأة حلوة .

هو بيشو يقبضته على المكتب بقوة وقال :

- هل تعرف رأيها فيك ؟ غيبى ! وعندما تتكلم عنك مع دل بريجو يضحكان بملء فيها .. بارنيت المغفل .. بارنيت المتفاخر !

تهتد بارنيت وقال : هذه صفة بغيضة . ما العمل لكى لا استحقها ؟

- ان غداً يوم الثلاثاء . يجب ان نعيد اليها فراش مدام بومبادور كما وعدتها .

- سحقاً لك . ولكننى لا أعرف أين يوجد . أما تتصحنى بشىء يا بيشو .

- اتصحك بأن تقبض على اللصوص . ستعرف الحقيقة منهم .

قال بارنيت : ليس هذا بالعمل الهين يا بيشو . هل معك أمر بالقبض ؟

- نعم

- وهل لديك رجال تحت تصرفك ؟

- ما على إلا أن أتصل بإدارة الأمن بالتليفون .

- اتصل الان واطلب ان يبعثوا اليك برجلين قويين بجوار اللوكسمبورج .

على مقربة من الاوديون .

أجفل بيشو وقال : هل تسخر منى ؟

- ابدأ . ولكن هل تظن أننى أريد ان يخطر لاولجا أننى مغفل .. ثم ،

أليس من عادتى الوفاء بوعودى دائماً .

فكر بيشو بضع دقائق . أحس فجأة بأن بارنيت يجد فى قوله وانه لم يكف عن التفكير فى الغز طوال الايام الستة وهو جالس فى مقعده . ألم يسبق ان قال مراراً أن هناك حالات من الأوفق قتلها تفكيراً وتمحيصاً بدلاً من إضاعة الوقت فى تحقيق لا طائل منه .

ومن غير أن يطيل التفكير ، اتصل بصديق له يدعى ألبير . فى إدارة الأمن ، وهو فى نفس الوقت المساعد الأمين لرئيس الأمن . وتم الاتفاق على إرسال رجلين بجوار مسرح الاوديون .

ونهب بارنيت متأهباً للخروج . وكانت الساعة قد بلغت الثالثة ، وخرجا . وسأله بيشو :

- هل نذهب الى الحى الذى تقيم فيه أولجا .

- بل الى بيتها بالذات .

- ولكننا لن نمضى الى مسكنها ؟

- بل الى غرفة البواب وزوجته .

والواقع انهما جلسا فى غرفة البواب ، بعد أن أوصى بارنيت البواب وزوجته ان لا ينطقا بكلمة واحده وأن لا يفعلا ما ينم على وجوده وبيشونى الغرفة . جلسا خلف ستار . وكان فى مقدور كل منهما أن يرى كل من يدخل وكل من يخرج .

خرج القسيس الذى يقطن بالطابق الأول ، ثم خرجت إحدى خادمنى أولجا وفى يدها سلة لابتياح بعض لوازم البيت . وتمتم بيشو :

- من الذى ننتظره بحق الشيطان ؟ .. وما هو هدفك ؟

- هدفى أن أعلمك مهنتك .

- ولكن ؟

- اسكت ..

دخل دل بريجو فى الساعة الثالثة والنصف وهو يرتدى قفازه الابيض وقمطاه الابيض هو الاخر ، ويدله سمراء فاتحة اللون . وأشار الى البواب وزوجته محيياً . كانت ساعة بدء الدروس الرياضية اليومية .

وبعد أربعين دقيقة خرج من جديد ومعه علبة من السجائر ابتاعها .. قفاز أبيض وطبايق أبيض .

ثم دخل ثلاثة أشخاص آخرون .. وهمس بيشو فجأة :

- أظنه خرج من الباب .

قال بيشو فى شىء من التردد : لا أظن . إلا اذا كنا لم نرقب الباب جيداً . ما رأيك يا بارنيت ؟

أبعد بارنيت الستار وقال : أرى ان وقت العمل قد حان ..

امض وابحث عن رجلبك يا بيشو .

- هل اتى بهما هنا ؟

- نعم .

- وأنت ؟

- سأصعد .

- هل تنتظرنى ؟

- لاذا ؟

- ولكن ماذا هناك ؟

- سوف ترى . رابطو ثلاثكم فى الطابق الثانى . وسوف أدعوكم .

- سوف تبدأ العمل إنن ؟

- حتى النهاية .

- ضد من ؟

- ضد رجال لا تنقصهم الجرأة .. أسرع .

أسرع بيشو بالخروج .. وصعد بارنيت الطوابق الثلاثة كما قال . وطرق الباب ودخل الى غرفة الرياضة حيث كانت أولجا تنتهى من دروسها تحت

- هل يجب أن أقدم نفسي ثانية . انا جيم بارنيت ، مخبر خاص بمكتب بارنيت وشركاه ، وصديق لبيشو .

تقدم دل بريجو خطوة الى الامام و هو يقول :

- أرجو المعذرة أيها السيد ، فأننى على عجل من أمرى .

- أوه . دقيقة واحدة لا أكثر ريثما تستعيد ذكربانك .

- بخصوص من ؟

- بخصوص رجل تركى .

- تركى ؟

- نعم ، ويدعى بن فالى .

هن الاستاذ رأسه وقال :

- بن فالى ؟ .. لم أسمع عن هذا الاسم أبداً .

- ربما سمعت عن رجل يدعى أفيروف ؟

- لم أسمع عنه هو الآخر .. من هذان السيدان .

- قاتلان .

ساد صمت قصير ثم ضحك دل بريجو وقال :

- هذا نوع من الرجال لا أحب الاختلاط به .

قال بارنيت : بل يزعم بعضهم انك تعرفهما حق المعرفة .

نظر دل بريجو إليه من قمة رأسه الى اخفض قدمه وغمغم :

- ما معنى كل هذا ؟ وضع ما نقول ، فان الألفاظ لا تروق لى .

مراقبه دل بريجو . وصاحت وهى فوق سلم من الحبال :

- أه .. من أرى .. مسيو بارنيت العنيد . حسنا يا مسيو بارنيت . هل

تأتينى بفراشى ؟

تقريباً يا سيدنى . ولكن أرجو ان لا يزعجك حضورى .

- بل على العكس .

ويخفة عجيبة وبنون ان تحفل بالخطر قامت ببيضع حركات صعبة تليى

لارشادات دل بريجو . وكان هذا الأخير يشجعها وينتقدما ويعطيها المثل

أحياناً ، فقد كان هو نفسه رياضياً قديراً ، وان كان أكثر عنفاً . وكان يبدو

انه يريد أن يظهر براعة .

واذا انتهى الدرس لبس سترته وزرر طماقة الابيض ، وأخذ قفازه

الابيض ، وقبعته الفاتحة اللون ، وقال :

- سوف نلتقى هذا المساء فى المسرح يا مدام أولجا .

- ان نتقطنى اليوم اذن يادل بريجو ؟ .. كان يجب أن ترافقنى لأن أمرى

غير موجودة .

- لا يمكننى ذلك ، فلدى دروس قبل العشاء .

ومضى نحو الباب . ولكنه اضطر ان يتوقف ، فقد كان بارنيت بين الباب

وبينه . وقال بارنيت :

- اسمح لى ببيضع كلمات فحسب أيها السيد العزيز ، مادام الحظ قد

أسعدنى بلفانك .

- أنا اسف حقاً ، فأننى ..

- اجلس يا مسيو دل بريجو .. سوف نتكلم بحرية أكثر .

اتى دل بريجو بحركة نذل على نفاذ صبره . وكانت أولجا قد اقتربت من الرجلين .. جميلة وقضولية وصغيرة جدا فى ثوبها الرياضى . وقالت :

- اجلس يا دل بريجو . ولا تنسى أن الامر يتعلق بفراش مدام بى بومبانور .

قال بارنيت : صدقنى يا مسيو دل بريجو أنتى لا أقدم لك أى لغز . ولكن منذ زيارتى الأولى هنا . بعد السرقة . لم أكف عن تذكر حقيقتين مختلفين كثير الحديث عنهما فى حينهما . وأحب أن أعرف رأيك فيهما . وتكفينى بضع دقائق .

ولم يعد بارنيت يتكلم بطريقته العادية كتابع لبيشو . وإنما اتخذت لهجة سمة أمره بحيث لا يمكن إلا الخضوع لها . ودهشت أولجا كل الدهشة . واضطر دل بريجو ان يذعن وقال مرزجراً :

- أسرع انن .

وبدا بارنيت حديثه فقال :

- منذ ثلاث سنوات ارتبط جوهرى بيقم فى مسكنه مع أبيه فى الطابق العلوى بمبنى فى قلب باريس . بعلاقة عمل مع رجل يدعى بن فالى . يرتدى عمامة وزيأ تركيا بسروال فضفاض . ويتاجر فى الاحجار الكريمة من الدرجة الثانية .. ياقوت أصفر شرقى ولالاز غير متناسق وأحجار نغيسه وغيرها . ومساء يوم سعد بن فالى مرارا الى سكن الجوهرى . وعاد هذا الأخير من المسرح ووجد أباه قتيلاً بطعنه خنجر وخزانات المجوهرات فارغة تماماً . وأسفر التحقيق عن ان الجريمة لم يرتكبها بن فالى بنفسه . لانه

٢٠

أثبت أنه كان فى مكان آخر وقت ارتكاب الجريمة . ولكن ارتكبها شخص آخر ادخله بن فالى البيت بعد الظهر . وقد تعذر القبض على ذلك الرجل . واختفى التركى بدوره . وحفظت القضية . فهل تتذكرها يا مسيو دل بريجو ؟

قال دل بريجو : لم أت الى باريس إلا منذ سنتين .. ثم أنتى لا أرى الصلة .

استطرد جيم بارنيت يقول : وكانت جريمة أخرى قد ارتكبت بنفس الاسلوب . والقنيل من هواة الاوسمة ويدعى مسيو دانول . وأدخل القاتل رجل روسى يدعى الكونت أفيروف . وأخفاه فى المسكن .

قالت أولجا فويان وقد امتنع وجهها جدا : اتنى انذكر هذه الجريمة .

وأستأنف بارنيت حديثه قائلاً : وعلى الفور لم أر فى هاتين الجريمتين وسرقة فراش مدام بومبانور تماثلاً عجيباً فحسب وإنما مشابيه شبه عالية بالذات فان سرقة مجوهرات مسيو سورو التي ارتكبها بن فالى وسرقة اوسمة مسيو دانول تمتا بواسطة رجلين أجنيين . بنفس الطريقة التي نجدها هنا . أى بادخال مسبق لشريك أو شريكين للقيام بالسرقة . ولكن ما هى السمة المميزة لهذه الطريقة ؟ هذا ما لم أره لأول وهلة . وهذا ما أرهقت نفسى فى التفكير فيه طوال أيام فى مكثى . ويهذين العنصرين اللذين عرفتهما وهما جريمة بن فالى وجريمة أفيروف . كان لابد من إثبات فكرة عامة قوامها طريقة خاصة دبرت بها هاتان الجريمتان وربما جرائم أخرى لا أعرفها .

سألت أولجا فى اهتمام : وهل أفلحت ؟

أجاب بارنيت : نعم . وأعترف انها فكرة جميلة . فيها فن . وأنا خبير فى

وأمسك ، وأرتسم السخبط على أولجا . فقد ادركت على الفور ما يعنيه
بارنيت منذ أن بدأ حديثه واحتجت قائلة :

- كلا ، كلا . أن في حديثك هذا تلميحاً لا يمكن إلا أن يثير حنفي .

ابتسم دل بريجو و قال متسامحاً :

- دعني يتكلم يا مدام أولجا .. أن مسيو بارنيت يحلو له أن يلهو .

قال بارنيت : هو ذلك يا دل بريجو . اننى ألهو ، وأنت على حق تماماً في
أن تهتم بمغامرتى الأخيرة ، على الأقل قبل أن تعرف نهايتها . طبعاً ، أنا
أعلم تماماً أنك أجنبي ، وترتدى ثيابك بطريقة تلفت النظر .. قفاز أبيض
وطماق أبيض . ووجهك عبارة عن قناع متحرك يصلح لكل تغييرات
ويساعدك أكثر من أى شيء آخر على أن تتبدل الى روسى أو تركى أو غنى
يعيش عيشة بذخ ، ولا يعرف له مورد رزق . وأنت بالطبع من المترددين على
البيت ، أيمكك الدخول والخروج عدة مرات فى اليوم . ثم ان سمعتك كرجل
شريف لا يمكن الطعن فيها ، وأولجا فويان ضامته لك ، ولهذا لامجال ابدأ
لاتهامك . ولكن ما العمل ؟ هل نفهم ارتياكى ؟ كنت أنت المجرم الوحيد
الممكن ، ولكن لا يمكن أن تكون الجانى . أليس كذلك يا أولجا فويان ؟

قالت وعيناها تلمعان من الحمى والقلق :

- كلا . كلا . اذن من تتهم ؟ .. وأية طريقة تستخدم .

- طريقة بسيطة جدا .

- وما هى ؟

- هى اننى نصبت فخاً .

- نصبت فخاً ؟ .. وكيف ذلك ؟

كل ما يت بالفن .. فن كبير حقاً . فبينما يتصرف رعا ع اللصوص والثقة
سراً ويتسللون الى الأماكن الراد سرقتها خفيه أو يرسلون مسبقاً بعض
الساكنين أو النمال للتعرف على تلك الاماكن ، يعدد هؤلاء ، الى طريقة أخرى
ويعملون جهازاً وهم رافعوا الرؤوس . وكلما وقعت عليهم الأبصار كلما كان
ذلك أفضل ، فهم يدخلون البيت علانية بعد أن يصبحوا من المالكين
والمترددين عليه . ثم . وفى اليوم المحدد يخرجون ، ثم يعودون من جديد ،
وتم .. وعندما يصبح رئيس العصاة فى الداخل فان رجلاً آخر يدخل ..
رجل غير الذى راوه يدخل ويخرج ، ولكن له نفس مظهره وهيبته بحيث
يخطر لمن يراه انه هو . أليس هذا بديعاً .

خاطب بارنيت دل بريجو بهذه العبارة الأخيرة ، ثم استطرد :

- هذه عبقرية .. نعم ، عبقرية يا دل بريجو . أعود فأقول ان رجلاً آخر
يقوم بالعلبة وهو يحاول ان لا يفتن إليه أحد . ككس الفنادق . مرتدياً
نفس الزى المحايد ، ونفس الطريقة التى لا تستلفت الأنظار ، رغم حرصهم
على أن يراهم الجميع . فاذا دخل روسى يرتدى زياً معيناً ، واذا دخل تركى
يرتدى هو الآخر زياً معيناً فلن يخطر لأحد أنه دخلا أكثر مما خرج . ولكن
الشريك هو الذى يدخل فى المرة الخامسة ، ولا يرقى الشك الى أحد . هذه
هى الطريقة ، واننى أحيى الذى ابتكرها ونقلها ، لأنها تدل على عبقرية
واستاذية . ولكن بالنسبة لى أنا فان بن فالى والكونت أفيروف ما هما الا
شخص واحد . أو ليس عندنا الحق عندئذ فيما ان تتسائل من الذى دخل
ثالث مرة تحت مظهر ثالث فى القضية التى تشغلنا . روسى أولاً ثم تركى
ثانياً ، ثم .. من الذى نراه هنا فى صورة أجنبى ويرتدى بتلك الصورة
المميزة ؟

استولى النوف فجأة على أولجا وصاحت : وهل ستتم المحاولة هذه الليلة ؟

- هذه الليلة كما هو مفروض .

قالت في صوت متهدج : ولكن هذا فظيع .

وكان دل بريجو قد أصغى دون أن يتحرك فنهض وقال

- ليس في هذا أى شئ ، فطبع يا مدام أولجا مارست قد عرفت . بكفى

أن تبلغى البوليس ، وإذا سمحت فأننى سأحسرف الآن .

صاح بارنيت : كلا بالطبع . فأننى بحاجة إليك يا دل بريجو .

- لا أرى فيم أستطيع أن أفيدك .

- كيف ذلك ؟ .. ولكن في القبض على الشريك .

- أماما الوقت ، ما دامت السرقاة لن تقع الا ليلا .

- نعم . ولكن لا تنسى ان الشريك قد تم إدخاله مسجقا .

- أيكون قد دخل فعلا ؟

- منذ نصف ساعة .

- هذا سخف . أنعنى منذ حشورى ؟

- منذ قدومك للمرة الثانية .

- هذا أمر لا يصدق .

- رأيت يدخل كما رأيتك أنت .

- اذن فهو مختبئ . في هذا المسكن ؟

سألها جيم بارنيت الم تلتقى مساء أمس مكالمة تليفونية من البارون لورنز ؟

- نعم . هذا صحيح .

- وقد جاء لزيارتك أمس ؟

- نعم . نعم ..

- وجاءك بصندوق ثقيل من القضة عليه شعار مدام بومباردور .

- ها هو ، على هذه المتضدة .

- ان البارون لورنز قد أغلس ويحاول أن يبيع هذا الصندوق الذى ورثه عن اجداده ، وتركه ليك حتى غدا الثلاثاء .

- وكيف عرفت ذلك ؟

- البارون هو أنا . واذن فقد عرضت هذه التحفة من الفضيات على من حولك ؟

- نعم .

- ومن ناحية أخرى تلقت أمك برقية من الريف تدعوها للذهاب الى أختها المريضة ؟

- من أخبوك بذلك ؟

- أنا الذى أرسلت البرقية . رحلت أمك صباح اليوم اذن ؟ وسيجبى صندوق الفضيات فى هذه الغرفة حتى صباح الغد ، وهذا أغراء كبير لكى يقدم بالمحاولة ويسرق الصندوق . ومضى سرقه قيمتها اكثر بكثير من قيمة الغرفة ومحتوياتها .

- نعم .

- أين ؟

مد بارنيت اصبعه نحو الباب وقال :

- هناك يوجد فى الرواق نولاب مشحون بالثياب والملابس القديمة ولا يفتحة أحد بعد الظهر ، وهو مختبئ ، فيه .

- ولكنه لم يستطيع ان يخبئ ، فيه بمفرده ؟

- كلا .

- ومن الذى فتح له ؟

- أنت يا دل بريجو .

كان من الواضح بالطبع ، منذ البداية ، أن كل كلمات بارنيت تشير الى استاذ الرياضة ، وانها كلها الماحات محددة بالذات ، ومع ذلك فان مفاجأة الهجوم أفرزت دل بريجو ، وارتسمت على وجهه شتى المشاعر التى تتضارب فيه ، والتى استطاع اخفاها حتى الان ، وهى الغضب والقلق وخمن بارنيت تردده وأسرع الى الرواق وأخرج من النولاب رجلاً دفعه الى الاستوديو . وصاحت أولجا :

- أه .. الأمر صحيح إذن .

كان الرجل له نفس قامة دل بريجو ، ومرتديا مثل ثيابه تماماً ، ونفس الوجه السمين القابل للتغير . وقال بارنيت وهو يضع على رأسه قبعة فاتحة اللون ويحاوله قفازا أبيض :

- أنك نسيت قبعتك وقفازك أيها السيد .

دهشت أولجا وراحت تبتعد خطوة خطوة دون أن تفارق بعينها الرجلين ، وصعدت درجات السلم متقهرة ، أدركت فجأة حقيقة دل بريجو ، والاضطراب التى تعرضت لها بجواره ، وخاطبها بارنيت وهو يضحك :

- عجباً . هذا غريب ! انهما ليسا متشابهين كتوأمن .. ولكنهما متشابهان فى القامة والهيئة ولكل منهما وجه بهلوان عجوز ، وزيهما متشابه هو الآخر . انهما يبدوان كأخوين تماماً .

تغلب الشريكان على اضطرابهما شيئاً فشيئاً . كانا قويين وأمامهما على كل حال غريم واحد يبدو ضعيفاً ، وله مظهر موظف بسيط . ونطق دل بريجو بعبارة أجنبيه فقال بارنيت على الفور :

- لا داعى للتحدث باللغة الروسية لكى تسأل زميلك إن كان معه مدس .

تميز دل بريجو من الغيظ وقال بضع كلمات بلغة أخرى فقال بارنيت :

- لاحظ لك فائضى أعرف التركية معرفة تامة . ثم أنتى أحب أن تعرف ان ييشو موجود فى السلم وأنت تعرفه ، فهو زوج أولجا ، ومعه اثنان من رجاله . ويمجرد سماعهم طلقة سيبادرون بالهجوم .

تبادل دل بريجو وزميله نظرة . أحسا بأنهما هالكين . ومع ذلك فقد كانا من النوع الذى لا يقر بالهزيمة ، فاقتربا من بارنيت وهما متأكدان من قوتها ، ولكن بارنيت صاح بهما :

- حسناً . معركة ضارية بالأيدي . وما أن تتغلبا على حتى تحاولا الهرب من ييشو . حذار يا مدام أولجا . ستشهدين الان شيئاً عجيباً عملاقان ينقضان على رجل نحيل . هيا يا دل بريجو .. بأسرع من هذا .. هيا ، قليل

من الشجاعة .. أمسك بتلابي .

كانت تفصل بينهم ثلاث خطوات . وشدت الشقيبان الضغط على أصابعهما وما هي إلا لحظة حتى أنقضا . ولكن بارنيت كان أسبق منهما . فقد خفض رأسه نحو الأرض وأمسك بساقي كل منهما وأوقعهما أرضاً كما لو كانا تماثيل . وقبل أن يتمكننا من الدفاع عن نفسيهما أحسنا بأن رأسيهما سمرنهما يد بدت لهما قوية كما لو كانت كلابه حديد . واختنقا وتنازلت سواعدهما ولم يستطيعا حراكا . وقال بارنيت في هدوء عجيب :

- أولجا قويان .. تكرمي بفتح الباب واستدعاء بيشو .

وثبت أولجا من السلم وأسرت نحو الباب بقدر ما سمحت لها قوتها المتخازلة وصاحت : بيشو .. بيشو ..

وعادت مع الفتش وكلها حماس وخوف في نفس الوقت . وقالت :

- قضى الأمر . انه شك في حركتهما وحده . ما كنت أتوقع هذا منه ابداً .

وقال بارنيت يخاطب بيشو :

- هاك زيوناك . ما عليك إلا أن تضع الاصفاذ في أيديها حتى اتركهما يتنفسان المسكينين . كلا . لا تقسوا عليهما يا بيشو . اؤكد لك أنهما سيلزمان الهدوء . أليس كذلك يا دل بريجو ؟ ..

ونفض ، وقبل يد أولجا التي راحت تتأمله باعجاب ثم صاح في مرح :

- أه يا بيشو .. انه لصيد جميل .. وحشان من أكبر الوحوش الضارية . واشدهما خبثاً ومكرأ .. لك كل تهانتى يا دل بريجو للطريقة التي ابتكرتها . وراح يفرز أصابعه المتوترة في صدر الأستاذ . وكان بيشو يمسك

جيدا من قيده . واستطرد يقول في مرح متزايد :

- أقول أنها عبقرية . منذ لحظات . عندما كنت مختبئاً في غرفة البواب .

حيث كنت اقوم بالمراقبه انا وبيشو . وكنت قد عرفت خدعتك . رأيت ان الذي دخل آخر مرة لم يكن انت . ولكن بيشو . بعد لحظة من الشك وقع في الفخ واعتقد ان ذلك السيد ذا القفاز الأبيض والطماق الابيض والقبعة الفاتحة اللون والبذلة السمراء هو دل بريجو الذي راه يمر أكثر من مره . الأمر الذي سمح لدى بريجو رقم ٢ ان يصعد بهدوء . وأن يتسلل داخل الدواب . تماماً كما فعلها في الليلة التي اختفت فيها غرفة النوم في جوف الظلام . وتجرو فتقول ان هذه ليست عبقرية .

كان من الواضح ان بارنيت لم يعد يستطيع السيطرة على فرحنه الغامرة . ووثب وثبة كبيرة ألقي نفسه بعدها فوق الأرجوحة . وانتقل منها الى عمود ثابت وراح يدور حوله ثم أمسك بالحبل ووثب منه الى الحلقات . الواحدة بعد الأخرى ثم بالسلم . كل ذلك في حركات أشبه بحركات قرد في القفص . ولم يكن هناك أعرب ولا أعجب من أطراف معطفة الطويل التي كانت تتطاير وتثور خلفه بطريقة مثيرة مضحكة .

ووجدته أولجا وهي لا تزال في أوج اضطرابها أمامها فجأة .

وقال :

- ضعى يدك على قلبي ايها السيدة الجميلة . إن النبط عادى تماماً . أليس كذلك ؟ .. ورأسى ؟ .. ولا قطرة عرق .

وأمسك بسماعة التليفون وطلب رقماً وقال :

- إدارة الامن ؟ .. قسم الابحاث اذا سمحت .. أه .. هذا أنت يا ألبير ؟

انا بيشو .. ألا تعرف صوتي ؟ .. هذا لا يهم ، أبلغ الادارة بأن المفتش
بيشو ألقى القبض على قاتلين دبرا سرقة مسكن أولجا فويان .

ومد يده نحو بيشو وقال : كل المجد لك أنت يا صديقي العزيز ..

انتى أحبيك يا سيدتى .. أراك تنظر الى بيروود يا دل بريجو .

غمغم دل بريجو : اظن أنه لا يوجد غير رجل واحد جدير بأن يخدمنى
هكذا ..

- ومن هو ؟

- أرسين لويين .

صاح بارنيت - أخيراً ! هذا تحليل رائع يادل بريجو ، وسوف نذهب
بعيداً اذا لم تنقد رأسك . ولكنها ليست متماسكة فوق كتفيك .

وانفجر ضاحكاً . وحييا أولجا ، وخرج وهو يغشى : ايزيدور يحيينى
ولكننى أحب جيم .

وفى اليوم التالى ضيق المحققين على دل بريجو وأرهقوه بالادلة بحيث
اضطر أن يعترف بأن المسروقات مخبئة فى حظيرة فى الضواحي . وكان
اليوم يوم الثلاثاء ، وهكذا بر بارنيت بوعده .

واضطر بيشو الى السفر فى الأرياف وقضاء بضعة أيام فى مهمة
رسمية وعندما عاد وجد رساله من بارنيت هذا نصها :

« اعترف إنتى كنت كريماً ، فانا لم أجن صلنياً واحداً فى هذه القضية ،
ولم اقتطع شيئاً لنفسى كما تخشى ومن ناحية اخرى فان خير جراء لى أن
أحتفظ باحترامك وتقديرك .

وبعد ظهر اليوم مضى بيشو الى مكتب بارنيت وفى نيته أن يقطع علاقته
به ، ولكنه وجد المكتب مغلقاً وعليه هذه اللافتة :

مغلق بسبب الحب

سيفتح من جديد بعد شهر العسل

وزمجر قانلاً وهو يشعر ببعض القلق : ما معنى هذا بحق الشيطان !

وأسرع إلى أولجا فوجد المسكن مغلقاً هو الآخر ، وهرع إلى الفولى
بيرجير فقيل له أن الفئانة الكبيرة دفعت تعويضاً كبيراً وفسخت عقدهما
ورحلت فى أجازة ، وخرج إلى الشارع وهو يتمغم :

- يا للشياطين ! ايمكن هذا ؟ .. بدلاً من أن يقطع لنفسه نقوداً انتهز
انتصاره وسمح لنفسه با غراء ..

شئ فظيع ، ويأس لا مثيل له . ولكن كيف يعرف ، أو بالأحرى ، كيف
يتصرف لكي لا يعرف ولا يحصل على يقين يخشاه أكثر من أى شئ .

ولكن «ما يئسف له أن بارنيت لم يرحم قريسته ، فقد تلقى بيشو مراراً
كثيرة بطاقات بريدية مصورة وعلى كل منها عبارة كلها حماس جنونى :

« أه يا بيشو ! ... يا لضوء القمر فى روما ! ... إذا حدث وأحببت يا
بيشو فاذهب إلى صقلية .

وكان بيشو يصر على أسنانه ويقول : أيها الوغد . أنتى غفرت لك كل
شئ . إلا هذا ، فلن أغفره لك أبداً . وسوف أنتقم سريعاً .

القبط على جيم بازيت

٢

دخا، بيشو إدارة الأمن، واجتاز معمرات وارنقى سلام، وفتح باباً من غير أن يطرقه وانفذ نحو رئيسه المباشر، وقال وقد انقلبت سحتك من فرط الانفعال:

- أن جيم بارنيت ضالع فى قضية ديروك، رأيت أمام بيت النائب ديروك بعيش عاتين.

- جيم بارنيت؟

- نعم، المخبر السرى الذى كلمك منه مراراً أيها الرئيس والذى اختفى منذ بضعة أسابيع.

- مع الراقصة أولجا؟

- صاح بيشو وقد تملكه الغضب: نعم، زوجتى السابقة!

- وبعد.

- أنتى تعقبته.

- لئون أن يدري؟

- أوه، لا يمكن لمن اتعقبه أن يشعر بذلك أبداً. ومع ذلك فقد كان ذلك الشقى يتخذ احتياطاته ويتظاهر بأنه يتسكع. دار ميدان الاتوال، وسلك شارع كليبر، وتوقف فى ميدان تروكا ديرو، بجوار امرأة جالسة فوق دكة امرأة يبدو أنها من العجر، جميلة وغريبة الأطوار يشالها الملون وشعرها الأسود المشط على هيئة برنيطة. وبعد دقيقة أو دقيقتين تبادل الحديث همساً وهما يشيران ببعضهما أكثر من مرة إلى بيت واقع على ناصبى شارع كليبر والميدان، ثم نهض واستقل المترو.

- وأنت تتعقبه دائماً؟

- نعم، ولكن مر ثرام على الخط المقابل لسوء الحظ فلم أجد الوقت لكى أستقل المترو بدورى. وعندما عدت إلى الميدان كانت العجيرة قد اختفت.

- ولكن ذلك المنزل الذى أشارا إليه .. هل مضيت إليه؟

- أنتى أتيت منه الآن يا سيدى الرئيس.

وراح بيشو يتكلم وهو بشدد الضغط على كلماته فى رهو كبير

- بقيم فى الطابق الرابع من ذلك البيت، عند أربعة أسابيع، والد المتهم، الجنرال ديروك، وهو ضابط متقاعد، أقبل من الريف، كما تعرف، لكى يدافع عن أبنة المتهم بالاختطاف والتعذيب والقتل.

وكان لقوله تأثيره وعاد الرئيس يقول:

- وهل رأيت الجنرال؟

- أنه فتح لى الباب بنفسه، وعلى الفور حدثته بالشهد الصغير الذى رأيت، ولم تأخذ الدهشة، ففى اليوم السابق، زارته امرأة بوهيمية، وعرضت عليه خدماتها فى التجميل والتنبيذ بالورق، وطلبت ثلاثة آلاف فرنك.

وهي تنتظر رده اليوم في ميدان التروكا ديرو ، فيما بين الساعة الثانية والثالثة ، وستصعد إليه عند أول إشارة منه .

- وماذا تعرض عليه ؟

- قالت له أنها ستعثر على الصورة الشهيرة وتأتيه بها .

هتف الرئيس : الصورة التي تبحث عنها عبثاً ؟

- هي بالذات ، تلك التي ستفتق النائب ديروك أو تدينه طبقاً لوجهتي نظر الاتهام والدفاع .

تلى ذلك صمت طويل ثم تمتع الرئيس كما لو ييوج بسر :

- أنت تعرف يا بيشو مدى إهتمامنا بالحصول على هذه الصورة .

- أعرف ذلك .

- لا يكفي أن تعرف ولكن يجب .. هل تسمع يا بيشو .. يجب أن تقع هذه الصورة بين أيدينا قبل أن تحصل عليها النيابة .

وأردف يقول في صوت أشد خفوتاً :

- البوليس أولاً .

أجاب بيشو في نفس اللهجة الخطيرة :

- ستحصل عليها أيها الرئيس ، وسأسلمك البوليس السري يارنيت في نفس الوقت .

قبل ذلك بشهر انتظر المالى فيرالدى ، أحد ملوك باريس ، بفضل ثروته وعلاقاته السياسية ، وجسارته ، ونجاح مشروعاته ، انتظر زوجته في

ساعة الغداء ، ولكنها لم تكن قد عادت بعد عندما هبط الليل ، ولم يرها أحد طوال الليل . وقام البوليس بأبحاثه وتحريات ، وثبت بالدليل القاطع أن كريستيان فيرالدى تخرج كل صباح من بيته الكائن على مقربة من غابة بولونيا وتتزه في الغابة ، وأن رجلاً اقترب منها في ممر مقفر وجرها إلى سيارة مغلقة وانطلق بها مسرعاً ناحية السين . ولم يتبين أحد ملامح الرجل ، ولكن بدا أنه شاب ، وكان يرتدى معطفاً سميكاً أزرق اللون ، ويضع على رأسه قبعة سوداء ، ولم يعرف عنه أحد شيئاً آخر .

وانقضى يومان ولم يسمع أحد عنها شيئاً .

ثم كانت المفاجأة ، فبعد ظهر أحد الأيام رأى بعض الرجال الذين يشتغلون على مقربة من شارع شارتر بباريس سيارة تنطلق بسرعة كبيرة ، ارتفعت فيها صيحات فجأة ، ثم شاهدوا أحد أبوابها يفتح وامرأة تلقى منه في الفضاء .

وأسرعوا إليها على الفور .

وفي نفس الوقت صعدت السيارة فوق منحدر واندفعت بسرعة واصطدمت بشجرة وانقلبت ، وخرج منها رجل سليم لم يصب بشئ ، وعاد يجرى نحو المرأة .

كانت قد ماتت ، فقد اصطدمت رأسها بكثلة من الحجر .

ونقلت إلى قرية قريبة وأبلغوا المخفر . ولم يتردد الرجل في نكر اسمه وقال أنه النائب ديروك ، العضو المشهور بمجلس النواب ، وزعيم حزب المعارضة . أما امرأة القتل فقد كانت هي مدام فيرالدى .

وبدأت المعركة على الفور ، عنيفة وشرسة ، من ناحية الزوج ، ولم تكن

بأقل عنف وشراسة من ناحية النيابة ، وقد أثارها بعض الوزراء الذين
يهمهم ضياع النائب ديروك ، لم يكن هناك أى شك فى حادث الاختطاف
حيث أن جان ديروك كان يرتدى ثياباً زرقاء اللون وقيعة سوداء تماماً
كالرجل الذى هاجم كريستيان فاليري . أما عن القتل ، فقد كانت شهادة
الفلاحين قاطعة ، فقد رأوا زراع الرجل وهو يدفع المرأة ، ويلقى بها إلى
الخارج . وطلبت النيابة رفع الحصانة البرلمانية عنه .

وتصرف جان ديروك تصرفاً زاد الاتهام ضده قوة ، فقد اعترف دون لف
أو دوران بالاختطاف ، ولكنه كذب شهادة الفلاحين بكل قوة ، وقال أن مدام
فيرالدى وثبت من العرية بنفسها ، وأنه بذل المستحيل لكى يمنعها من ذلك .

أما عن أسباب الانتحار ، وعن ظروف الاختطاف ، وعما حدث أثناء
اليومين اللذين غابت فيهما ، وعن المناطق المرناة ، والتطورات التى سبقت
النهاية المناهضة فقد لزم الصمت التام . ولم يستطع المحققون إثبات أين
ومتى عرف مدام فيرالدى ، أو إذا كانت هى قد عرفت بما أن مسيو
فيرالدى ، المالى العروف ، قال أنه لم يسبق له أن تعرف به .

وعندما ضيقوا عليه بالأسئلة أجاب :

- ليس لدى ما أقوله أكثر من ذلك ، ولكم أن تعتقدوا ما تشاءون ، وأن
تفعلوا ما يروق لكم فلن أقول شيئاً مهما حدث .
ولم يحضر جلسة مجلس النواب .

وفى اليوم التالى ، عندما دق رجال البوليس على بابه ، وبينهم بيشو ،
فتح لهم بنفسه وقال : أنتى لى استعداد لأن أتبعكم أيها السادة .
وقاموا بتفتيش دقيق ، ووجدوا فى المدفأة ، بغرفة المكتبة رماداً عرفوا منه

أنه أحرق أوراقاً كثيراً . وبحشوا فى الأدراج ، وأفرغوا المنقولات ، ونصفحوا
الكتب ، وحزموا رزماً من الأوراق من المستندات .

وكان جان ديروك يتابع فى غير اكترات ذلك التفتيش العجيب ، ووقع
حادث واحد كان له تأثيره الشديد والعنيف ، فقد أبدى بيشو ذكاء أكثر من
زملانه وعثر فى علبه بها بعض الأوراق على لفاقة رقيقة من الورق لم يظن
إليها أحد ، وهم يفحصونها عندما هجم عليه جان ديروك وانتزعها من يده
وهو يقول : أنت ترى تماماً أنه لا أهمية لها .. أنها صورة .. صورة قديمة
انفصلت عن ورقتها الكرتون .

وكان أن تصرف بيشو بكل عنف وقوة ازا ، اضطراب ديروك ، وغرابة
العمل الذى أقدم عليه . وأراد أن يسترد اللقافة ، ولكن النائب خرج وهو
يجرى ، وأغلق الباب خلفه ، وأسرع إلى الغرفة المجاورة حيث يقوم
بحراستها أحد حراس الأمن . ولحق به بيشو وزملاؤه على الفور . ودارت
بينهم مناقشة حادة ، وفتشوا جيوب جان ديروك ، ولكن لفاقة الورق التى
تضم الصورة لم تكن معه . واستجوبوا الحارس ، فقال أنه اعترض طريق
الهارب . أما عن المستند الذى يبحثون عنه فإنه لم ير شيئاً . وألقى القبض
على النائب واقتيد إلى السجن .

هذه هى المناسبة فى خطوطها الرئيسية ، وقد أثارَت ضجة كبيرة فى
حينها (وكان ذلك قبل الحرب العالمية بقليل) بحيث أنه لا داعى لأن تذكر
تفاصيلها التى لا يجهلها أحد ، ولا مراحل التحقيق التى لم تسفر عن
شئ ، ولولا تدخل بيشو لخلت مستغلفة حتى يومنا هذا . والأمر لا يتعلق
إطلاقاً باماطة اللثام عن قضية ديروك ، وإنما بإظهار الحلقة الخفية التى
تسيبت فى معرفة نهايتها ، وكذلك فى انهاء الصراع الدائر بين بيشو وعزيمة

فى تلك المرة كانت مع بيشو ، على الأقل ورقة رابحة كبيرة ، مادام قد أدرك لعبة بارنيت وأصبح يعرف الوسيلة التى سيعمل بها هذا الأخير ، وما دامت القضية ستدور فى نفس الأرض التى سيحتلها بيشو . والواقع أنه فى صباح اليوم الذى حده له مدير البوليس بنفسه ، طرقت باب الجنرال ديروك .

فتح له الباب خادم له كرش كبير ، ويبدو من مظهره ، فى سترته الطويلة كما لو كان من موثقى العقود فى الأقاليم . وأنخل بيشو ، ووقف المقتش من الساعة الثانية حتى الثالثة خلف نافذة ، وراقب ميدان تروكا ديرو . ولكن العجربة لم تأت ، لا فى ذلك اليوم ولا فى اليوم الذى يليه . ويسر أن بارنيت قد استراب فى الأمر .

تشبهت بيشو برأيه ، واتفق فى ذلك مع الجنرال ديروك ، وهو رجل نحيد طويل القامة ، بادي النشاط والعزم ، يحتفظ تحت سترته الرمادية بمظهر الضابط القديم ، وهو من هؤلاء الرجال المعروفين ببرودهم وصلابتهم ، والذين لا يكثرون الكلام . ولكن تحت سورة بعض الانفعالات ، يحتنون ويتحاملون بكل عنف . وكان شغفه الوحيد هو ابنه ، ولم يكن يشك فى براءته . وبعد أن وصل باريس وقد أعلن ذلك فى أحاديثه التى أثارت الرأى العام .

- أن جان غير جدير بمثل هذا العمل الشرير . وليس به غير عيب واحد وهو افراطه فى نزاهته . ولا يتردد فى الاضراء بنفسه إلى حد اغفال مصالحه هو بالذات . ولهذا فانتى أرفض أن أراه فى سجنه أو أن أتحدث إلى محاميه . ولا أهتم بتبرده وصمته . ولم أت لكى أنفق معه وإنما لكى أدافع عنه ضد نفسه . ولكل أمرى منا نواعيه . وإذا كانت نواعيه أن يلتزم

الصمت فإن دواعى أنا تقتضى منى أن أحافظ على اسم العائلة من أى تدنيس .

وصاح فى يوم ضيقوا عليه بالأسئلة :

- هل تريدون رأى ؟ ها هو . أقول نون أية مراعاة أن ابنى لم يختطف تلك المرأة ، وإنما تبعته طواعية . وهو يلتزم الصمت لأنه لا يريد اتهام امرأة ماتت ، وكانت له معها ، على ما أعتقده علاقات وثيقة . فلتبحشوا عن الحقيقة .

وكان هو يبحث بكل همة ونشاط ويقول لبيشو :

- أن لى فى كل سكان أصدقاء أقوياء وأوفياء . يتقانون فى استقصاء هذه القضية . وهى قضية محدودة النطاق كما تعتقد أنت بالذات أيها المقتش مادام لا ينقصنا ولا ينقصك غير دليل واحد ، وهو الصورة الشهيرة . كل القضية هنا ، بين المالى فيرالدى والخصوم السياسيين لابنى ، بمساعدة بعض وزراء الحكومة للعثور على المستند الذى يدينه . وقد فتمشوا البيت وقلبوا كل ما فيه ، وقدم فيرالدى مكافأة لمن يدل على مكانها . فلننتظر . ففى هذه الصورة سيكون لدينا الدليل الساطع على براءة ابنى .

أما بيشو ظم يهمة كثيراً ثبوت براءة الابن أو عدم ثبوتها . فقد كانت مهمته قاصرة على العثور على الصورة . وكان يعرف أنها إذا كانت تثبت براءة النائب ديروك فإن اعداءه سيعملون على اخفائها بالذات . ورأى من واجبه أن يكون يفتأ وأن ينتظر البوهيمية التى أتت أن تأتى . وكان يشرب بارنيت الذى ظل محتفياً . وراح يلاحظ حديث الجنرال ديروك ، وكان هذا الأخير ، من ناحيته ، يروى مساعيه واماله ومخاوفه .

وذاث يوم ، بدأ فيه الضابط مستغرقاً فى التفكير ، خاطب بيشو قائلاً :

انتبهنا أنا وأصدقائي إلى الاعتقاد أن الشخص الوحيد الذي يمكنه أن يدلنا على اختفاء تلك الصورة هو حارس الأمن الذي اعترض أبنى يوم اعتقاله . ولكن الغريب أن أحداً لم يذكر لنا اسم ذلك الحارس ، لقد جئته الفرقة التي ذهبت لتفتيش البيت واصطحبته معهم من القسم الذي يعمل فيه لمعاونتهم . فماذا حدث له ؟ لا أحد يعلم ، على الأقل بين زملائه . ولكن السلطات العليا تعرفه ، ونحن نتق أيها المفتش أن ذلك الشرطي قد استجوب وأنه وضع تحت مراقبه دقيقة يومية . ويبدو أنهم فتحوا بيته هو الآخر ، وبيت أسرته ، وأنهم فحصوا كل ملابسه وكل مفروشاتة . هل أستطيع أن أقول لك اسم المفتش الذي كلفوه بهذه المراقبة .. أنه المفتش بيشو ، الموجود أمامي هنا .

ولم يكذب بيشو الأمر ولم يعترف . فصاح الجنرال :

مسبو بيشو . أن صممت بزيد معلوماتي ، وأنا واثق أن هذه المعلومات يجب أن تكون لها نتيجة . ويجب أن تأتي بذلك الشرطي . أبلغ من له الحق بذلك ، وإذا ما رفض فسوف أرى ما يجب على أن أعمل .

وأبلغ بيشو ما طلب منه طواعية . خاصة وأن خطته لم تنجح . فماذا سيفعل بارتيت ، وما هو الدور الذي يقوم به في هذه القضية ، فهو ليس بالرجل الذي يبقى مكتوف اليدين ، وسوف يجد نفسه أمامه فجأة ، بعد أن يكون الوقت قد فات .

وأعطته السلطات العليا تفويضاً مطلقاً . وبعد يومين أدخل سيلفستر . خادم الجنرال ، بيشو والشرطي ريمبوج . وهو رجل شهيم . هادئ . المظهر في زيهِ الرسمي ومسندته وعصاته البيضاء على جانبيه . وكانت المقابلة طويلة ، ولم تسفر عن أية نتيجة مفيدة . فقد كان ريمبوج

قاطعاً ، وقال أنه لم ير شيئاً . ومع ذلك فقد ذكر أمراً فهم منه الجنرال أنه يدين بتوظيفته التي يشغلها إلى تدخل النائب ديروك وكان قد عرفه في الجيش .

توسل الجنرال إليه وهدده ، وتكلم باسم ابنه . ولكن ريمبوج لم يتأثر على الإطلاق ، وقال أنه لم ير الصورة ، وأن النائب ديروك ، في اضطرابه بالذات ، لم يعرفه . وإذا أعيت الجنرال الحيل استسلم للواقع . وقال له :

أشكرك . وأنى أريد أن أصدقك . ولكن هناك في علاقتك مع ابني مصادفة غريبة بحيث أننى احتفظ بشكوكي .

ودق الجرس ، وقال سيلفستر عندما أقبل :

شيع مستر ريمبوج حتى الباب يا سيلفستر .

خرج الخادم وحارس الأمن . وتناهى إلى اسماع الجنرال وبيشو صوت باب الردهة وهو يخلق . والتقت عيناً بيشو في هذه اللحظة بعين الجنرال . وخيل للمفتش أنه يرى فيها تعبيراً ساخراً .. وفرحة غريبة لا يبررها أى شئ . ومع ذلك .

وانقضت بضخ لحظات ، وفجأة ، حدث شئ مذهل راح بيشو ينظر إليه في غيابة في حين أن الجنرال راح يبتسم ، فقد تقدمت إلى الغرفة من الباب الذي ظل مفتوحاً هيئة غريبة . عبارة عن زراعين يمشيان من كل جهة منها رأس مقلوبة نحو الأرض ، ونصفها الأعلى مستدير ، قوقه ساقان رقيقان يهتزتان نحو السقف .

واعتمدت الهيئة فجأة ، ودارت حول نفسها كالتحفة . على طرف قدم يعتمد القدم الآخر عليه . لم تكن تلك الهيئة غير سيلفستر وقد استولى عليه

الجنون فجأة ، وراح ينور كما يفعل الثرويش . وكوشه الكبير تهزه ضحكة
تصعد من فم مفتوح كما لو كان قمعاً عريضاً .

ولكن ، أكانت تلك الهيئة هي سيلفستر حقاً ؟ بدأ بيشو ، أمام هذا المنظر
العجيب ، يحس بأن رأسه كلها تنصيب عرقاً . أهذا حقاً سيلفستر ، الخالم
البدين ، بمنظوره كمسجل عقود في الأرياف .

توقف فجأة أمام بيشو وقد اتسعت عيناه ، وأزال من وجهه التكشيرة
التي تؤنزه ، كما لو كانت قناعاً . وقد أزرار سترته وصديريه ، وتخلص من
بطنه الكارتشوكية وارتدى سترة ناولها له الجنرال ديروك . ونظر إلى بيشو
من جديد ، وقال في لهجة قاسية :

- أن بيشو أبه كبير .

لم يغضب بيشو ، فقد بدأ من منظره المحزون أنه يرفض بكل الامانات .
وقال في بساطة : بارنيت !

وأجاب الآخر : نعم ، بارنيت .

كان الجنرال ديروك يضحك من قلب خلى . وقال له بارنيت :

- التمس معذرتك يا جنرال . ولكنني ، عندما أنجح ، تتعلمكني فرحة كبيرة
بحيث لا أمك إلا أن أقوم بحركات بهلوانية أو راقصة تثير الضحك .
- إنن فقد نجحت يا مسيو بارنيت !

أجاب بارنيت : أظن ذلك ، وبفضل صديقي العزيز بيشو . ولكن لا يجب
أن نجعله ينتظر . ولنبداً من البداية .

وجلس . وأشعل الجنرال سيجارة . وأشعل بارنيت هو الآخر سيجارة
وبدا يقول :

- حسناً يا صديقي بيشو . جاعتي وأنا في اسبانيا برقية من صديق
مشتوك يطلب مني مساعدة الجنرال ديروك . وكنت أقوم برحلة غرامية ،
ولعلك تتذكر ، مع امرأة ظريفة . ولكن الحب بدأ يفتر بيننا . وانتهزت هذه
الفرصة لكي استرد حريتي ، وعدت بصحبة بوهيمية فائنة ، التقيت بها في
غرناطة . وراقت لي القضية لأنك أنت الذي كلفت بها . واستنتجت على
الغور أنه إذا كان هناك دليل على براءة أو إدانة النائب ديروك فلاید من
الحصول عليه من حارس الأمن الذي اعترض الطريق أثناء فراره . وهنا ،
اعترف لك يا بيشو أنه ، رغم كل الوسائل والمحاولات لم أفلح في معرفة
اسم ذلك الرجل الشهم . في العمل ؟ . كانت الأيام تمر ، وأصبحت المحنة
قاسية بالنسبة للجنرال وابنه . ولم يبق أمامي غير أمل واحد ، وهو أنت .

لم يتحرك بيشو . أحسن بالاحباط التام . ويانه أصبح ضحية أسوأ
خداع ، فما من علاج . ولا من أي عمل ممكن ، فقد وقع الشر . وعاد
بارنيت يقول :

- نعم ، أنت يا بيشو . فقد كنا نعلم إنك انت الذي كلفت بمراقبة

واستجواب حارس الأمن . ولكن كيف نجيتك هنا ؟ كان الأمر سهلاً ، فقد

اعترضت طريقك ذات يوم ، وجعلتك تتعقبني حتى ميدان التروكانديرو ، حيث

كانت تنتظرني حسفائي البوهيمية . وبيضع كلمات متبادلة همساً . وبيضع

نظرات إلى هذا البيت ووقعت في الفخ . ولم تعد تفكر إلا في الإيقاع بي أو

بالبوهيمية . وجعلت من هذا البيت ميدان حرب . بجوار الجنرال وخادمه

سيلفستر ، أي بجواري . وبذلك استطلعت أن أراك كل يوم وأن أسمعك ،

وأن أثير حماسك بواسطة الجنرال ديروك .

وتحول بارنيت إلى هذا الأخير وقال له :

لك كل تهانتي يا سيدى الجنرال ، فانك عاملت بيشو ببرقة وبراعة تغلباً على شكوكه ، وقادانى إلى الهدف وهو أن يضع تحت تصرفنا لبضع دقائق حارس الأمن .. أجل يا بيشو ، كانت بضع دقائق كافية تماماً ، فماذا كان الغرض ؟ .. غرض البوليس والنيابة والجميع ؟ هو العثور على الصورة ، أليس كذلك ؟ كنت أعرف براعتك ، ولم أشك فى أن أبحاثك قد امتدت إلى حدود الاتقان ، إن فلان جندى من البحث بنفس الطرق والوسائل التى سلكتموها الف مرة ، كان يجب أن نتصور شيئاً آخر ... شيئاً آخر غير عادى وغير مألوف ، بحيث إذا أتينا بالحارس هنا نستله منه خفية ومن غير أن يشعر وبسرعة ، فالثياب والجيوب والبطانات وكعوب الأحذية المجوفة ، كل ذلك خدع مستهلكة ، وكان لابد مما تخيلته أنا يا بيشو : المحال والعداى .. المخبأ العجيب والطبيعى فى نفس الوقت والمتوفر بسبب مهنة ذلك الرجل أكثر من أى شخص آخر ، ما الذى يتميز به حارس الأمن فى مهنته إن ؟ ... لونا عن غيره ، ما الذى يميزه عن الشرطى العادى ؟ أو عن مفتش بوليس ؟ فكر وحاول أن تعرف يا بيشو ، أنتى أمهلك ثلاث ثوان لا أكثر حيث أن الأمر واضح وضوح الشمس ... واحد ، اثنان .. ثلاثة ... هل وجدت ؟ ... وهل فهمت ؟

ولكن بيشو لم يفهم ولم يجد ، ورغم غرابة الموقف ، راح يحاول أن يجمع أفكاره ، وأن يستعرض أمام عينيه حارس أمن يقوم بوظيفته ، وقال بارنيت :

- هلم يا صديقى المسكين .. أنت لست فى أحسن حالاتك اليوم ، وأنت الثاقب الفكر دائماً .. هل يجب أن أضع النقط فوق الحروف ؟
ووضع بارنيت شيئاً فوق أنفه هو بالذات ، وكان قد اندفع خارج الغرفة

ثم عاد وهو يضع فوق أنفه فى حالة توازن عصا الشرطى ، تلك العصا الصغيرة البيضاء التى يستخدمها رجال الشرطة فى باريس ، وفى لندن فى حفظ النظام ويسيطرون بها على الشعب ويشيرون بها إلى العربات ويهيمنون بها على اللصوص والأشرار ، صفوة القول تلك التى بيدون بها كائهم ملوك الشوارع وسادة الساعة ، وراح بارنيت يقذف بها فى الفضاء ثم يستردها فى يده بحركات بهلوانية ويمررها من بين ساقه ثم خلف ظهره وحول عنقه ، وأخيراً أمسكها بين سبابته وإبهامه وقال :

- أيتها العصا الصغيرة البيضاء .. يا رمز السلطة .. أنت التى أخذتها من حمالة الشرطى ريمبورج ووضعت أخرى شبيهة لك مكانها ، لم أخطئ ، طبعاً عندما اشتبهت فى أنك المخبأ المثالى الذى نبحث عنه .

وأمسك العصا الصغيرة بيده اليسرى وراح يدير مقبضها بيده اليمنى ، قدار فى يده ولم يثبت أن انفصل عن العصا ، وقال :

- هذا ما ظننت تماماً .. يا له من عمل رائع وصعب يكاد يكون مستحيلًا ، معجزة من الذكاء والدقة ، منذ الذى كان يخطر له أن الشرطى ريمبورج مع مثل هذه المعجزة ، وبأية اعجوبة تمكنوا من حفر قناة بداخلها وصنع مقبض لولبى بحيث لا يستطيع أحد أن يميزها عن غيرها من العصى !

وأخرج بارنيت من تجويف العصا حلقة مستطيلة من النحاس ، بينما كان الجنرال ديروك وبيشو يحدقان فيه فى ذهول ، وانقسمت الحلقة إلى جزئين ظهر فى الجزء الأول منها أنبوبة من النحاس هى الأخرى كانت مغروزة فى الحلقة حتى آخرها .

توترت الوجوه ، وانحبست الانفاس ، وراح بارنيت يعمل رغباً عنه ، فى

شيء من النظرة ، فأخرج الابنوبة وراح بضربها فوق المنضدة فسقط
سها لقافة من الورق .

وصاح يشوقه امتقع وجهه الصورة ... أنتى أعرفها .

- أنت تعرفها ، أليس كذلك ؟ ... خمسة عشر سنتيمتراً تقريباً . وقد
انقرعت من كروتتها . وتجددت تقريباً ... هل تريد أن تبسطها يا سيدى
الجنرال ؟

أخذ الجنرال ديروك المستند بيد ففقد ههوها الطبيعي . كان بها أربع
رسائل وبقية مشبوكة بديوس . وتأمل الصورة لحظة ، ثم عرضها على
زميليه وهو يقول بصوت يتهدج قليلاً من فرط الانفعال والسرور . ثم التلق
العجائى .

- صورة امرأة .. امرأة شابة ، تقص طفلاً فوق ركبتيها .. ملامحها نفس
ملاحم مدام فيرالدى كما ظهرت فى الجرائد .. أنها هى نون شك . منذ
تسع أو عشر سنوات . ثم أن التاريخ نون عليها .. أن الصورة ترجع إلى
إحدى عشرة سنة والتوقيع الذى عليها باسم كريستان ، وهو نفس اسم
مدام فيرالدى .

وغنم بعد لحظة : ماذا يجب أن نفهم .. هل كان ابنى يعرفها إذن فى
ذلك الوقت ، قبل أن تتزوج ؟

قال بارنيت : اقرأ الرسائل يا سيدى الجنرال .

وتاوله لول ورقة . وكانت مستهلكة عند الطيات ومكتوبة بخط نسائى .

وقرأ الجنرال ديروك ، وما كاد يقرأ سطورها الأولى حتى كتم صيحة كما
لو أنه عرف شيئاً خطيراً ومؤلماً . واستمر فى قرأته فى لهفة ، وقرأ

الرسائل الأخرى ثم البرقية التى قدمها إليه بارنيت . وسكت الجنرال لحظة
وقد بدأ عليه الاضطراب والتلق . وقال بارنيت :

- هل يمكن أن نغمر لنا الأمر يا سيدى الجنرال ؟

لم يرد الجنرال على الفور . واغرورقت عيناه بالدموع ثم قال أخيراً .

- أنا المذنب الحقيقى .. فمئذ اثنتى عشرة سنة أحب ابنى فتاة من عامة
الشعب .. عاملة بسيطة .. أنجب منها طفلاً ... وأراد أن يتزوجها . ولكننى
بكبريائى الغبى رفضت أن أراها واعترضت على ذلك الزواج . وأوشك جان
أن يتزوجها رغباً عنى ، ولكن الفتاة صحت بنفسها . وهذه هى الرسالة
الأولى .

« الوداع يا جان . أبوك لا يوافق على زواجنا . فلا يجب أن تعصيه فان
ذلك سيجر الشقا . على وليدنا العزيز .. أنتى أرسل إليك صورتنا ، أنا وهو
معاً ، فاحتفظ بها معك ولا تتسانا سريعاً » .

ولكن كانت هى التى نسيبت . فقد تزوجت فيرالدى . وعهد جان بالطفل
إلى مدرس متقدم فى السن فى ضواحي شارتر ، حيث كانت أمه تعضى
لوزيته سراً .

انحنى بارنيت وييشو ، فقد كان الجنرال يتكلم فى صوت خافت . كما لو
أنه يحدث نفسه وهو لا يرفع عينيه عن الرسائل التى توجز الحاضر الأليم .
وقال :

- أما الرسالة الأخيرة فنترجع إلى خمسة شهور .. بضعة سطور تعترف
فيها كريستيان بأسفها وندمها وتقول أنها تحب الطفل كل الحب ثم لا شى ..
وأخيراً هذه البرقية . وقد أرسلها المدرس إلى جان ويقول فيها : « الوالد

مريض جداً فقال « وعلى هذه البرقية كتب ابني هذه العبارة المهولة التي تشير إلى النهاية القطعية : ابنا مات وكروستيانا انتحرت .

لزم الجنرال الصمت من جديد . على أن الحقائق كانت تفسر نفسها ، فما أن تلقى جان البرقية حتى بحث عن كريستيان وجربها وهي متخالفة نحو السيارة . وأثناء العوده من شارتر ، بعد أن قبلت ابنا الميت استولت عليها أزمة من اليأس وانتحرت .

وقال جيم بارنيت مستفهماً : علام عولت يا سيدى الجنرال ؟

- سأعلن الحقيقة طبعاً ، فإذا كان جان لم يتكلم فذلك لا لئى يتهم الميت بالتاكيد وإنما لئى لا يتهمنى أنا ، فانا المسئول عن هذه القصة المحزنة . ومع ذلك ، فرغم ثقته بأن مدرس شارتر لن يخونه ، وبأن حارس الأمن ريمبورج سيلزم الصمت هو الآخر فإنه أراد أن لا تضيق الحقيقة وأن يدع القدر يتصرف وفق ما يشاء . وما دمت قد أفلحت يا مسيو بارنيت ..

- أنتى أفلحت يا سيدى الجنرال بفضل صديقى بيشو ، فلا تنس ذلك . فلو أنه لم يأتى بالشرطى ريمبورج وبمصانه البيضاء لخسرت المعركة . فاشكر بيشو يا سيدى الجنرال .

- أنتى اشكر كما معا ، فقد أنقذتما ابنى ، ولن أتردد فى القيام بواجبى . أقره بيشو وقد تأثر بالأحداث بحيث تغلب على كرامته وتغلب عن الحصول على المستندات التي يبحث عنها البوليس ، وتغلب ضميره الانسانى على ضميره المهنى . وإذا مضى الجنرال إلى غرفته اقترب من بارنيت ، وألقى بيده على كتفه وهو يقول :

- أنتى القى القبض عليك يا جيم بارنيت .

قال ذلك فى سذاجة من يعرف تماماً أن تهديده غير مجد ، وأنه إنما ينطق به مدفوعاً بارضاء ضميره ولكى لا يخل بواجبه ، وهو إلقاء القبض على بارنيت .

وصاح هذا الأخير وهو يبسط له يده :

- أحسنت يا بيشو ، فها أنت قد ألقيت على القبض واعتقلتنى ، وتغلبت على بحيث لا يمكن لأحد أن يلومك . والآن ، وإذا سمحت ، فانتى سأهرب حتى لا تظلل صداقتك أية شائبة .

قال بيشو يتلك السذاجة التي يتميز بها وتجعله محبوباً من الجميع :

- أنك تفوقت علينا جميعاً يا بارنيت ، وأن ما قمت به الآن لمعجزة حقاً . كيف ضمنت هذا ؟ .. كيف ضمنت وجود هذا المخبأ العجيب فى عصا حارس الأمن . وذلك دون أى دليل ؟

ضحك بارنيت وقال : أه . أن طعم المكسب يشحن الخيال .

قال بيشو فى قلق : أى مكسب ؟ ليس ما سيقدمه لك الجنرال دبروك على ما أظن .

- وما سأرفضه طبعاً ، فإن مكتب بارنيت يعمل بالمجان ، فلا تنس ذلك . - إذن ؟

قال جيم بارنيت فى ضراوة : إذن ... وأنا أقرأ الرسالة الرابعة بركن عيني عرفت أن كريستيان فاليرى قد صارحت زوجها منذ البداية بماضيها . وبذلك ، فإنه بعلمه بعلاقة زوجته القديمة ووجود الطفل قد خدع العدالة باخفائه هذه الحقيقة وذلك بغرض انتقامه من جان دبروك وارساله إذا أمكن

ولكن . من ناحية أخرى . كيف يرفض اقرار المجتمع واعترافه بخدمات
الجليلة وهو يعرف أنه يستحق تلك الترقية بكل جدارة .
وكان أن مزق الرسالة وقبل الترقية .

إلى المشقة . وهو تصرف شنيع كما نعرف . فهل تعتقد أن الثرى فيرالدى
لن يسره شراء مثل هذا الخطاب المشين ... إذا ذهب إليه رجل شهيم يريد
كتمان الأمر ويعرض عليه ذلك بكل رفق ألا تعتقد أن فيرالدى سيقدم له
مبلغاً محترماً . ومهما يكن فقد احتفظت بالرسالة فى جيبي .

تهد بيشو . ولكنه لم ينطق بكلمة احتجاج . فإلهم أن البراءة قد ظهرت
وأن الخير قد تغلب على الشر وأن الحق قد ظهر بصورة أو بأخرى . ولا
يضيره تلك الاستقطاعات التى يقوم بها بارنيت فى آخر دقيقة على حساب
المنشين والخطاة . وقال :

- الوداع يا بارنيت . ومن الخير أن لا نلتقى بعد اليوم وإلا انتهيت بأن
أفقد ضميرى المهض إلى الأبد . الوداع .

- الوداع إنن يا بيشو . أنتى أفهم دوافعك وهى دوافع تشرفك .

بعد بضعة أيام تلقى بيشو الرسالة التالية من بارنيت .

« أنهى إليك هذا النبأ السعيد يا صديقى العزيز . فرغم أنك لم تحتفل
هذا الخبيث بارنيت كما وعدت . ورغم أنك لم تحصل على الصورة
الفوتوغرافية كما صدر إليك الأمر بذلك فانتى استبسلت فى الدفاع
عك وفى اظهار النور العظيم الذى قمت به فى هذه القضية بحيث أنتى
حصلت على ترقيةك إلى رتبة رئيس المفتشين . »

أتى بيشو بحركة تدل على الغضب . كيف يدين بترقيته لبارنيت ؟
لم يكن هذا بالأمر المقبول .

احترام كل التقاليد وكل السلطات ، ولهذا يوحى إلى جانيمار بالكثير من التقدير والعرفان .

- ولكنه لا يوحى إليك إلا بقليل من الاعجاب .

- بل بإعجاب كبير كذلك . ففضلاً عن شجاعته التي لا تقهر ، وهي ميزة رجال البوليس ، فإن جانيمار له مزايا كبيرة جداً . فهو لا يفتقر إلى الحزم ولا إلى الذكاء والحصانة ، وقد رأيتهُ وهو يعمل . وأنت رجل .. هل تعرف القضية التي اشتهرت باسم قضية أدب العنقاء .

- كما يعرفها الجميع .

- إذن فانت تعرف عنها القليل . حسناً . قد تكون هي القضية التي انتقت تدبيرها بكل عناية وبكل حرص وجمعت فيها كل الغموض والأسرار ، والتي نفذتها بكل مهارة وهنوء ، كأنها مباراة دقيقة في الشطرنج ... دقة وبراعة فائقين ، ومع ذلك فإن جانيمار انتهى بأن فك طلاسمها . وإذا كان أولو الأمر في إدارة البوليس يعرفون الحقيقة الآن فالفضل في ذلك له وحده ، وأؤكد لك أنها حقيقة ما كانت تخطر على بال أحد .

- وهل أستطيع معرفتها ؟

- بالتأكيد . في ذات يوم . عندما أجد متسعاً من الوقت . ولكن البرونللي ترقص الليلة في الأوبرا ، وإذا هي لم ترني في مقعدى ...
ولقائى بلويين نادرة ، ثم أنه يدلى إلى باعترافاته بصعوبة ، وعندما يروق له ذلك . ولم أعرف مراحل هذه القصة إلا بكلمات متقطعة من وقت لآخر ، وقلتات من اعترافاته جمعتها فيما بعد ، وأسوقها إليكم الآن بكل تفاصيلها .

أدب العنقاء

٢

- ما رأيك الحقيقي في المفتش جانيمار ؟

- أنه رجل ممتاز .

- ممتاز .. لماذا لا تترك فرصة إذن إلا وتجعل منه أداة لسخرتلك ؟

- إن هي إلا عادة سيئة ، وأنا شديد الندم لذلك . ولكن ماذا تريد . أنها القاعدة . فهو رجل تدبير من رجال البوليس ، وهناك الكثير من رجال البوليس المكلفون بحفظ النظام والدفاع ، عنا ضد اللصوص ، ويتعرضون للقتل في سبيلنا نحن الرجال الشرفاء ، ولا نعاملهم مقابل ذلك إلا بالتهكم والإزدراء ، وهذا ينتهي الغباء .

- مرحى يا لويين .. أنك تتكلم كبود جوازي صالح .

- وماذا تظنتي إذن ؟ ... إذا كان لي آراء خاصة فيما يتعلق بملكية الغير فانتى أقسم لك أن ذلك يختلف تماماً إذا ما نعلق الأمر بملكيتى أنا . والحق أنتى انصح بأن لا يفكر أحد في المساس بما يخصنى لأننى أغدو عنيفاً عندئذ . أوه .. أوه .. أن ممتلكاتى ومحفظتى وساعتى .. ممنوع لمسها . أن لى روح المحافظ يا صديقى العزيز ، وغريزة رجل له دخل صنيير عليه

والبداية معروفة . وساكفى بعرض الحقائق .

منذ ثلاث سنوات ، عندما بلغ القطار القادم من برست محطة رين
وُجد باب إحدى الركبات محطماً . وكان قد استأجرها ثرى برازيلى بنى
الكولونل سبارميينتو ، وكان يسافر مع زوجته فى نفس القطار .

وكان بالركبة التى تحطم بابها مجموعة من السجاجيد . وانغمس
صندوق يحتوى على سجاده منها ، وقد اختفت من الصندوق .

وقدم الكولونل سبارميينتو شكوى ضد شركة السكك الحديدية ، وطال
بتعويض كبير بسبب انخفاض قيمة المجموعة كلها نتيجة لتلك السرقة .

وقام البوليس بالتحقيق . ووعدت الشركة بمنح مكافأة كبيرة . وبعد
اسبوعين وصل إلى البوليس خطاب غير محتوم تقريباً عرفوا منه أن السرقة
وقعت تحت إشراف ارسين لوين ، وأن السجاده ستُرسل فى طرد إلى
أمريكا الشمالية . وفى نفس الليلة عثروا على السجاده فى حقيبة مودعة
بمكتب أمانات محطة سالازار .

وهكذا فشلت السرقة . وأحس لوين بالاستياء بحيث أودع كل غضبه فى
رسالة أرسلها للكولونل سبارميينتو يقول له فيها : أنتى كنت من الرقة وحسن
النطق بحيث لم أشأ أن أخذ غير سجاده واحدة . ولكننى سأخذ الاثنى
عشرة كلها فى المرة القادمة . ولقد أعز من أنذر . ولك تحياتى .

كان الكولونل سبارميينتو يقيم منذ بضعة شهور فى بيت يقع فى آخر
حديقة على ناصية شارعى فيزاندرى وبوفرنوى . وكان رجلاً قوياً عريض
الكفين ، أسود الشعر ، أسمر البشرة ، بسيط فى أناقته . تزوج امرأة
انجليزية فائقة الجمال ، ولكنها رقيقة الصحة أثرت فيها سرقة السجاده
تأثيراً كبيراً . ومنذ أول يوم توصلت إلى زوجها أن يبيعها كلها بأى ثمن .

ولكن الكولونل كان قوى الإرادة ، صلب الرأى ، فلم يقبل أن يستسلم لنزوة
امرأة ، كما يقول ، ولم يبيع شيئاً ، وإنما بالغ فى أخذ الاحتياطات ، وأحاط
نفسه بوسائل يتعذر معها سرقة أى شىء .

سد جميع نوافذ الطابقين الأرضى والأول التى تطل على شارع
بوفرنوى وذلك حتى لا يتعين عليه مراقبة شىء آخر غير واجهة البيت التى
تطل على الحديقة . ثم طلب من شركة خاصة بتأمين البيوت أن تقوم بحماية
بيته ، فزودت جميع نوافذ القاعة التى علق فيها السجاجيد بأجهزة انذار
خاصة غير ظاهرة . كان هو وحده يعرف مكانها ، وتضئ أنوار البيت كله
بمجرد لمسها ، وتصدر رنيناً ونبأً ونبأً لا ينقطعان .

ثم أن شركات التأمين التى لجأ إليها لم تقبل التأمين على سجاجيده إلا
إذا أقام لديه فى الطابق الأرضى ثلاثة رجال من قبلها على أن يدفع
أجورهم . واختارت لذلك ثلاثة من مفتشى البوليس القدامى المحنكين
والأمناء ، يحقنون على لوين كل الحقد .

أما الخدم فكان الكولونل يعرفهم منذ وقت طويل وقد ضمنهم .

ويعد اتخاذ كل هذه الإجراءات ، ويعد أن زود البيت بأجهزة دفاع كما لو
كان حصناً ، أقام الكولونل حفلة استقبال كبيرة لعرض مقتنياته دعا إليها
أعضاء الناديىن اللذين ينتمى إليهما وعددٌ من النساء والصحفيين وهواة
جمع التحف والتقاد الغنيين .

وما أن اجتاز كل من المدعوين باب الحديقة حتى خيل إليه أنه يدخل
سجناً ، فقد وقف المفتشون الثلاثة عند أسفل السلم وراحوا يطلبون بطاقة
الدعوة من كل منهم وينظرون إليه بعين فاحصة مستربية ، حتى أنه كان
يخيل إليه أنهم قد يطلبون تفتيشه أو أخذ بصمات أصابعه .

وقف الكولونيل في الطابق الأول يستقبل مدعويه ويعتبر إليهم وهو
يضحك وقد أسعده أن يشرح لهم الإجراءات التي تصورها لتشي
سجاجيده .

وقفت زوجته بجواره ، رقيقة ، شبابها وظرفها ، شقراء ، شاحبة ،
غضة ، لم يلاحظها سمة من الحزن والدعة ، وهي سمة استسلام
الأشخاص الذين يهدم القدر .

وعندما اجتمع كل المدعويين ، أغلقوا باب الحديدية وأبواب الردهة ثم
انتقلوا إلى القاعة الرئيسية عبر أبواب مزبوجة مصفحة وزوت نوافذها
العالية بقضبان من الحديد .. في تلك القاعة كانت السجاجيد الأثني
عشرة .

تحفاً فنية رائعة لا مثيل لها مستوحاة من نسج بايو الذي ينسب إلى
الملكة ما تيلده ، تمثل قصة غزو إنجلترا ، صنعت في القرن السادس عشر
بناء على طلب قائد من فواد الجيش كان يرافق غليوم الفاتح ، ونسجها جان
جوسيه ، نساج أراسي الشهير ، وتم العثور عليها بعد خمسمائة سنة في
بيت قديم بيريتاني . وإذا عرف الكولونيل بأسرها اشتراها كلها بخمسين ألف
فرك في حين أنها تساوي هذا المبلغ عشرين مرة .

ولكن أجمل تلك السجاجيد الأثني عشرة هي بالذات السجادة التي سبق
أن سرقتها أرسين لوبين ، والتي استطاعوا استعادتها . كانت تصور أديث
العنقاء ، وهي تبحث بين موتى هاستنجز عن جثة حبيبها هارولد ، آخر ملوك
الساكسون .

وقف المدعويون أمام هذه اللوحة يبتون إعجابهم الفائق بجمالها وبكوانها
الباعثة وينجمع الأشخاص والحزن البالغ الذي يوحيه المنظر .. وصورة

أديث العنقاء . الملكة المسكينة المثيرة كرهرة الزنيق الثقيلة . كان ثوبها
الأيصر ينم عن جسدها الضعيف . وبداها الطويلتان الرقيقتان تمتدان في
حركة هلع وتوسل . ولم يكن هناك ما هو أكثر حزناً من جانب وجهها
الذي تغلوه أكثر الابتسامات حزناً وأشدّها بأساً .

وقال أحد النقاد ، وكانوا يستمعون إليه في احترام ابتساماً مؤثرة .
ابتساماً حافلة بالفتنة مع ذلك ، تجعلني أفكر يا كولونيل في مدام
سبارمينتو .

وبدت الملاحظة حقيقية . وعاد يقول في إصرار . وهناك نقاط تشابه
أخرى استرعت انتباهي على الفور . وهي انحناء العنق ورقة اليدين ،
وكذلك شيء آخر في المظهر . وفي الهيئة المألوفة .

اعترف الكولونيل قائلاً : هذا صحيح تماماً إلى حد أن هذا التشابه هو
الذي حملني على شراء السجادة . ثم أن هناك سبباً آخر ، وهو أن من
الصدف الغربية حقاً أن زوجتي تدعى أديث بالذات . وقد سميتها منذ أن
اشترت السجادة بأديث العنقاء .

وأردف الكولونيل وهو يضحك : وأتمنى أن يتوقف التشابه عند هذا الحد
وأن لا تضطر عزيزتي أديث إلى أن تبحث عن جثة حبيبها كما تفعل صاحبة
اللوحة . فانا حي أرزق وليست بي أية رغبة في أن أموت ، وإن يقع ذلك إلا
إذا حدث واختلت اللوحات فأنني لا أضمن ما قد يدور في ذهني عنده .

وضحك وهو ينطق بكلماته الأخيرة . ولكن ضحكته لم تجد لها صدقاً .
وفي الأيام التي تلت ، وفي كل الروايات التي قيلت بصدد تلك الحفلة تظلمها
نفس الضيق والصمت ، فلم يعرف المدعويون ماذا يقولون .

وأراد أحدهم أن يمزح فقال : أليكون اسمك هارولد يا كولونيل .

أجاب في مرجح ظاهر كلا . ليس اسمى هارولد ، ثم إننى لا أشبه إيا
الملك السكسونى .

وقد اتفق الجديع بعد ذلك على التأكيد بأنه ، فى اللحظة التى فرغ فيها
الكولونل من عبارته تلك صدر من إحدى النوافذ رنين حاد . ولكن اخطئ
الجميع فمن قائل أن الصوت صدر من النافذة التى إلى اليمين ، ومن قائل
أنه صدر من النافذة التى إلى اليسار . وقد أعقب ذلك الرنين صرخة نزل
أطلقها مدام سبارميينتو ، وهى تشبث بذراع زوجها ، فقال :

- ما هذا .. ما معنى هذا ؟

تجمد المدعوون فى أماكنهم ، وراحوا ينظرون إلى النافذتين .
وعاد الكولونل يقول :

- ما معنى هذا ؟ .. اننى لا أفهم شيئاً .. لا أحد فيهم يعرف مكان هذا
الجرس .

وفى نفس اللحظة ، وقد أجمع الجميع على ذلك أيضاً ، فى نفس اللحظة
ساد الظلام التام وعلى الفور ، ومن اعلا البيت إلى أسفله ، وفى كل
الغرف ، وفى كل القاعات ومن كل النوافذ ، انطلق النوى من كل الأجراس .

وساد الهرج والمرج بضع ثوان . وعم الذعر الجنونى . صرخت النساء ،
وداح الرجال يدقون على الأبواب الموصدة بأيديهم فى جنون ، وأخذوا
يتدافعون بالمناكب ، ووقعوا فوق بعضهم البعض . وكان الذعر أشبه بذلك
الذى يحدث عند اندلاع حريق لا يبقى ولا يذر أو انفجار قنبلة . وصاح
الكولونل وغطى بصوته على كل شىء . وهو يقول :

- اصمتوا . لا تتحركوا .. اننى كئيل بكل شىء ... أن مفتاح النور هنا .

فى الركن .. ها هو .

وشق طريقه فعلاً بين المدعوين ، وبلغ ركن القاعة ، وفجأة سطع النور
الكهربائى من جديد ، وتوقف نوى الأجراس على الفور .

وعندئذ وفى النور الساطع بدأ منظر غريب ، فقد أغمى على سيدتين .
وكانت مدام سبارميينتو متشبثة بذراع زوجها وتبدو كالميتة . أما الرجال
فقد بدلهم الروح وتشوشت ثيابهم لفرط ما عم من فوضى وارتيابك .
وصاح أحدهم : أن السجادات موجودة .

وكانت الدهشة بالغة ، كما لو أن اختفاء تلك السجادات كان يجب أن
يكون النتيجة الوحيدة المعقولة لتفسير ما حدث .

ولكن لم يتحرك شىء ، وحتى بعض اللوحات النغيسية كانت لا تزال
مكانها . ورغم أن الضجة ملأت البيت كله ورغم أن نوى الأجراس كان فى
كل مكان فإن المفتشين الثلاثة لم يروا أحداً يدخل أو يحاول الدخول .

وقال الكولونل : وعلى كل حال فإن نوافذ هذه القاعة وحدها هى المزودة
بجهازات الانتذار ، وأنا وحدى أعرف طريقة تشغيلها .

وضحكوا كثيراً من تلك الغارة الكاذبة ، ولكنهم ضحكوا دون اقتناع ،
وفى شىء من الخجل ، إذا أحسن كل واحد بسخافة تصرفه . وساد بينهم
جو من القلق والانزعاج .

ومع ذلك فقد مكث صحفيان ، انضم إليهما الكولونل بعد أن عنى بإديت
وعهد بها إلى بعض الخادومات . وقاموا ثلاثتهم ، مع المفتشين يبحث دقيق لم
يسفر عن شىء . ثم جاء الكولونل بزجاجة شمبانيا ، ونتيجة لذلك لم يغادر
الصحفيان البيت إلا فى ساعة متأخرة ، فى نحو الثالثة إلا الربع ، وأوى

الكولونل إلى غرفته ، وعاد المفتشون إلى غرفتهم التي خصصت لهم في الطابق الأرضي .

وتلويب الثلاث الحراسة ، كل بدوره ، وهي حراسة تقوم على بقاءه سافراً ثم القيام بجولة في المدينة ويصعد إلى القاعة .

قاموا بهذا العمل بدقة تامة ، فيما عدا بين الساعة الخامسة حتى الساعة صباحاً ، فقد عليهم النوم ولم يقوموا بجولاتهم ، ولكن النهار كان قد طلع في الخارج ، ثم أن الأجراس طلت صامتة ، فلماذا يظنون ساهرين ؟

ومع ذلك ، ففي الساعة السابعة والدقيقة العشرين ، عندما فتح أحدهم باب القاعة والنوافذ تحقق من اختفاء الانثى عشرة سجادة .

بعد ذلك أثبت الجهات العليا ذلك الرجل وزميليه لأنهم لم يبلغوا الأمر على الفور ، ولأنهم بدأوا الأبحاث قبل أن يخبروا الكولونل أو إدارة البوليس . ولكن ما كان لهذا التأخير ، وله عذره ، ليعرقل سير التحقيق .

وسهما يكن فلم يعلم الكولونل بالحادث إلا في الساعة الثامنة والنصف فحسب . وكان مرتدياً كل شيابه ويستعد للخروج . وبدأ كان الخبر لم يؤثر فيه على الإطلاق ، أو على الأقل ، أفلح في التغلب على انفعالاته . ولكن لا ريب أن الجهد كان كبيراً جداً لأنه نهك فجأة فوق مقعد ، واستسلم بضع لحظات لسورة حقيقية من اليأس . وكان يأساً شديداً ، إذا نظرنا إلى ذلك الرجل المعروف بالحزم والنشاط .

واسترد نفسه ، وتغلب على يأسه ، ومضى إلى القاعة ، ونظر إلى

الجدران العارية ثم جلس أمام منضدة وسطر رسالة سريعة وضعها في ظرف وختمه وقال

- خذ هذا .. أنتى على عجل من أمرى .. موعد في غاية الأهمية .. هذه الرسالة لمدير البوليس .

وإذ حدجة المفتشون قال هذا مجرد إحساس أنقله لمدير البوليس . مجرد اشتباه خطر بيالى ، فليتحقق منه ، ومن ناحيتى ، سأبدأ يبحث سريع .

وانصرف وهو يجرى بحركات تذكر المفتشون فيما بعد أنها كانت تتم عن الارتباك والاضطراب .

وبعد بضع دقائق ، أقبل مدير البوليس ، فأعطوه الرسالة ، كانت تضم هذه الكلمات

« فلتغفر لى زوجتى الحبيبة الالم الذى سأسببه لها .. حتى اللحظة الأخيرة ، سيكون إسمها على لسانى .

وهكذا ، بعد لحظة جنون ، وبعد ليلة عانى فيها من الضغط العصبى تسبب له في نوع من الحمى ، أسرع الكولونل لكى ينتحز . فقبل تواتيه الشجاعة على اقدام على مثل هذا العمل أم يتردد في آخر لحظة .

أخبروا مدام سبارميينتو . وانتظرت نتيجة أبحاثهم للعثور على أثر الكولونل وهي تلهث من الفرع .

وفي آخر الأصيل جاءت مكالمة من مدينة فيل دافرى ، فعند خروج الموظفين من النفق ، بعد مرور القطار ، عثروا على جثة ممزقة تمزيقاً بشعاً ، ولم بعد للوجه أية صورة بشرية . ولم يكن بجيوبها أية أوراق . ولكن

الأوصاف تطابقت مع أوصاف الكولونل .

وفي الساعة السابعة مساءً هبطت مدام سبارميينتو في فيل دافرى ،
واقترنت إلى إحدى غرف المحطة . وعندما رفعوا الغطاء الذى يغطى الجثة
تعرفت أدبث العنقاء على جثة زوجها .

وفي هذه المناسبة لم تكن الصحافة فى صف لويين كما كانت العادة
دائماً .

وكتب أحد الكتاب الساخرين ملخصاً رأى الجمهور فقال : فليأخذ حنزه ،
فلو أن مثل هذه المغامرة تحدث مرة أخرى فسيفقد ما أوليناه من عطف
حتى الآن . ولويين ليس مقبولاً إلا إذا ما وقعت نذالاته على كبار رجال المال
والشركات المالية والمساهمة وما لم يقتل على الخصوص . أن يمارس
السرقة فليكن ، أما أن يرتكب جريمة قتل فلا ، وهو إذا لم يكن قد قتل فهو
مسئول على الأقل عن موت الكولونل . أنه تسبب فى إراقة الدماء .

وزداد غضب الجمهور وحقده بسبب رثائه لأدبث ، المخلوقة الوديعه
المعتلة الصحة . وتكلم مدعوو الأمس ، وعرف الجميع تفاصيل ما حدث
عندئذ . وأحاطت بالانجليزية هالة أسطوريه استعيرت من الفاجعة
المساوية التى وقعت للملكة أدبث العنقاء .

ومع ذلك فلم يستطع أحد إنكار إعجابهِ بالطريقة البارعة التى نفذت بها
السرقة . وقد شرح البوليس على الفور كيفية تنفيذها . فقد تحقق المفتشون
الثلاثة منذ البداية (واكلوا ذلك فيما بعد) أن إحدى نوافذ القاعة الثلاثة
كانت مفتوحة على مصراعها ، فكيف يكون هناك شك فى إن لويين وأعوانه
لم يدخلوا من هذه النافذة .

كانت النظرية معقولة جداً . ولكن كيف استطاعوا . أولاً : اجتياز باب

الحديقة . وثانياً عبور الحديقة ووضع سلم فوق الأرض دون ترك أية آثار .
ثالثاً : فتح مصراعى النافذة دون أن تنطلق أجراس الانذار . ودون أن
تضاء أنوار القصر .

أما الجمهور فقد اتهم المفتشين الثلاثة . وقد استجوبهم قاضى التحقيق
كثيراً ، وتحرى عن حياتهم الخاصة ، وتقصى ماضيهم . وأعلن بما لا يقبل
الشك بأنهم فوق الشبهات .

أما السجاجيد فلم يعد هناك ما يدل على أنهم سيعثرون عليها .

فى ذلك الوقت عاد المفتش جانيمار من الهند بعد فراغه من التحقيق فى
إحدى القضايا التى استدعت انتقاله إلى هناك . ولما علم أن لويين هو الذى
سرق السجاجدات طلب من رؤسائه أجازة لمدة خمسة عشر يوماً . وتقدم إلى
مدام سبارميينتو ووعدها بأن ينتقم لزوجها .

ولكن أدبث كانت قد بلغت تلك الرحلة حيث لا تخفف فكرة الانتقام الحزن
واللوعة اللذين يعصفان بها ، فطردت فى مساء يوم الدفن بالذات المفتشين
الثلاثة واستبدلتهم بخادم واحد وامرأة متقدمة فى السن لكى تقوم بشؤون
البيت . وهما خادمان كانا يعيدان الماضى إلى ذاكرتها بكل قسوة . ولهذا
انفردت فى غرفتها ، لا تبالى بأى شىء . وتركت جانيمار يتصرف كما يحلو
له .

وجعل المفتش إقامته فى الطابق الأرضى . وطلق يقوم . على الفور ،
بأبحاث دقيقة . وبدأ التحقيق من البداية . واستعلم فى الحى ودرس موضع
البيت وأطلق أجهزة الانذار عشرون ، بل ثلاثين مرة .

وبعد خمسة عشر يوماً طلب إطالة مدة أجازته . وأقبل رئيس البوليس ،
وكان يومئذ مسيو ديدوا ، لزيارته . ولما جاءه واقفاً فى أعلا السلم بالقاعة .

في ذلك اليوم أعترف المفتش العام بعدم جدوى أبحاثه .

ولكن في غداة اليوم التالي ، مر مسيو ديدوا من هناك ورأى جانيمار مشغول البال وقد بسط بعض الجرائد أمامه . وإذا ضيق عليه رئيس البوليس بالأسمه قال له :

- لا أدري يا سيدي الرئيس .. لا أدري أبداً . ولكن هناك فكرة تؤرقني .. غير أنها فكرة جنونية للغاية .. ثم أنها لا تفسر شيء . بل على العكس تزيد الأمور تعقيداً .

- وإن ؟

- إن أتوسل إليك أيها الرئيس أن تتجمل بالصبر قليلاً وتدعني أعمل . ولكن إذا اتصلت بك فجأة فيجب أن تستقل أول سيارة وأن لا تضع دقيقة واحدة .. ذلك أني قد أكون اهتديت إلى السر .

ومرت ثمان وأربعون ساعة أخرى . وتلقى مسيو ديدوا رسالة صغيرة :

« ج أنتى مسافر إلى مدينة ليل .
جانيمار »

وقال رئيس البوليس : ما الذي دعاك إلى المضي هناك بحق الشيطان ؟ ومضى اليوم بدون أنباء . ثم يوم آخر .

ولكن مسيو ديدوا كان يتق بالمفتش . وكان يعرفه جيداً . ويعرف أنه ليس من هؤلاء الذين يتحمسون لكون سبب ظاهراً . وإذا كان قد سافر إلى ليل فلا بد أن هناك أسباباً وجيهة دعت إلى السفر .

والواقع أنه في مساء اليوم الثاني جاءت مكالمة :

« أهذا أنت أيها الرئيس ؟

« أهذا أنت يا جانيمار ؟

كان كل منهما شديد الحرص . وتأكد كل منهما من الآخر . وإذا اطمان جانيمار أسرع يقول :

- عشرة رجال فيرا أيها الرئيس . وأرجوك أن تكون أنت نفسك معهم .

- أين أنت ؟

- في البيت . بالطابق الأرضي . ولكنني انتظرك خلف باب الحديقة .

- أنا قادم . في السيارة طبعاً .

- نعم أيها الرئيس . وأوقف السيارة على بعد مائة قدم . وسأسرع أنا إليك بمجرد أن أسمع صفيرك .

ونمت الأمور طبقاً لتعليمات جانيمار . وبعد منتصف الليل بقليل . وإذا رأى أنوار الطوابق العليا مطفاة تسلل إلى الشارع وأسرع للقاء مسيو ديدوا . ودار بينهما حديث قصير . وأطاع رجال الشرطة أوامر جانيمار . ثم مضى هو والرئيس وأجتازا الحديقة في سكون وانفردا وحدهما في حرص شديد . وقال ديدوا :

- حسناً . ما معنى كل هذا ؟ كأننا نتأمر حقاً .

ولكن جانيمار لم يضحك . لم يره مسيو ديدوا متفعلاً هكذا أبداً . ولم يسمعه يتكلم بمثل هذا الاحتياج .

- هل من جديد يا جانيمار ؟

- نعم . أيها الرئيس . ولكنني لا أكاد أصدق هذه المرة . ومع ذلك فإنا لم

يسبب في الموت هذه اول نقطة

وثانياً لماذا تلك الضجة مساء اليوم السابق . اثناء الحفلة لالقا .
الذعر في النفوس فحسب . ولكن يخلق حول المسألة . وفي بضع دقائق جوا
من القلق والرعب . وأخيراً لكي يحرك الشكوك عن حقيقة قد يشتمه فيها
أحد بنون شك . ألا تفهم ؟
- كلا بالطبع .

قال جاسيمار الواقع أن الأمر غير واضح . وأنا بالذات . وأنا أفكر في
هذه النقاط لم أكن أفهم شيئاً . ومع ذلك فقد كان لدي إحساس باننى أسير
في الطريق الصحيح .. نعم . لم يكن هناك شك في أن لويين يريد أن يوجه
الشكوك إليه حتى يبقى الشخص الذى يدير العملية غير معروف .

قال مسيو ديدوا هل تعنى شريكاً ؟ .. شريكا اختلط بالمدعويين . وأطلق
اجهزة الانذار . واستطاع أن يخفى . فى القصر بعد انصراف الجميع ؟
- هو ذلك هو ذلك .. من المؤكد أن السجاجيد لم تسرق إلا بواسطة
شخص بقى فى القصر خلصة . ولكن من المؤكد أيضاً أننا إذا فحصنا
قائمة المدعويين فربما
- حسناً ؟

- ولكن هناك شىء اخر مؤكد هو أيضاً . فان المفتشين الثلاثة كانت معهم
قائمة باسماء المدعويين . وقد تحققوا أن ثلاثة وستين مدعوا دخلوا القصر
وان ثلاثة وستين قد غادروه وإن ..

أحد الخدم ؟ ..

- كلا .

اخطى . فقد عرفت كل الحقيقة . ورغم أنها تبدو غير معقولة إلا أنها
حقيقية . حقيقة تماماً .. ولا يمكن إلا أن تكون كذلك
وجفف قطرات العرق الذى يتصبب من جبينه . وإذا سأل مسيو ديدوا
جرع قديماً من الماء ثم قال :
- أن لويين خدعنى كثيراً .

قال مسيو ديدوا : هل لك أن نمضى إلى الغاية رأساً . ما الخبر فى
كلمتين اثنتين ؟

اجاب جاسيمار معترضاً : كلا . أيها الرئيس . يجب أن تعرف المراحل
المختلفة التى مررت بها . وأرجو العذرة . ولكننى أعتقد أن هذا ضرورى .
وعاد يقول : كنت أقول أن لويين خدعنى كثيراً . وإذا قضى مر العذاب .
ولكن فى ذلك النضال الذى غلبنى فيه حتى اليوم . عرفت على الأقل طريقته
فى العمل . وفيما يتعلق بقضيته السجاجيد فقد أقيمت على نفسى سؤالين
على الفور .

أولاً : أن لويين لا يقدم على شىء ابدأ دون أن يتأكد من نتيجته . وكان
يجب أن يعلم أن انتحار الكولونل سبارمينتو ستكون نتيجة محتملة لاختفاء
السجاجيد . ومع ذلك . وعلى الرغم من أن لويين يكره الدم فإنه سرق
السجاجيد مع ذلك .

قال مسيو ديدوا : أغرت قيمتها التى تربو على السبعماناة أو الثمانماناة
ألف فرنك .

- كلا أيها الرئيس . أعود فأقول لك أنه مهما تكن الفرصة . فلا شىء فى
العالم . ولا حتى من أجل ملايين وملايين . فلا يقتل لويين ولا يريد حتى أن

قال الرئيس وقد نفذ صبره ومع ذلك ، إذا كانت السرقة قد تمت من الداخل ..

قال المفتش في انفعال متزايد : هذه نقطة أكيدة . ولا يمكن التردد فيها . فكل أبحاثي قادتني إلى هذه الوجهة . وشيئاً فشيئاً انتهيت إلى تبني هذه الحقيقة المذهلة .

« فمن الناحية النظرية » ومن الناحية المسلم بها لا يمكن أن تكون السرقة قد نفذت إلا من شريك مقيم في البيت . ولكن ليس هناك شريك .

قال مسيو ديبوا ما هذا الهراء ؟

الامر كما تقول حقاً . ولكن في نفس اللحظة التي نطقت فيها بذلك الهراء تجلت لي الحقيقة .

ماذا تقول ؟

أوه .. هي حقيقة مبهمة وغير مكتملة ، ولكنها كانت من الكفاية بحيث جعلتني أسير في تحقيقي إلى النهاية . هل تفهمني أيها الرئيس .

لزم مسير ديبوا الصمت . ولا ريب أن نفس الحقيقة تجلت له عندئذ هو الآخر لأنه تتم يقول :

إذا لم يكن السارق من المدعوين ولا من الخدم ولا من المفتشين . فلا يبقى إلا ..

نعم أيها الرئيس .. لا يبقى إلا شخص واحد .

ارتجف مسيو ديبوا كما لو انه تلقى صبره شديداً . وقال في صوت يعم في الافعال

كلا . ان هذا غير معقول

لماذا ؟

لماذا ؟ .. فكر جيداً في الامر .

ولكن . امض في تفكيرك أيها الرئيس .. وتكلم

ماذا ؟ .. كلا . هذا محال .. لا يمكن أن يكون سبارميينتو شريكاً

لويين

ضحك جانيمار مستهزئاً وقال تماماً . شريك لأرسين لويين . وبهذا يتضح كل شيء . فائتاء الليل . وبينما المفتشون الثلاثة يسهرون في الطابق الأرضي . أو بالأحرى . بينما كانوا نائمين . لأن الكولونل سبارميينتو ربما يس لهم مخدراً في الشمعيانبا . أقول أن الكولونل أنزل السجاجيد ونقلها إلى الخارج من غرفته . وهي تقع كما تعلم في الطابق الثاني . وتطل على شارع آخر لم يكن يخضع لاية رقابة أو أية حراسة . ما دامت نوافذ الطابقين الأرضي والأول قد سدت .

فكر مسيو ديبوا ثم هز كتفيه وقال هذا محال .

لماذا ؟

لأن الكولونل سبارميينتو ما كان ينتحر لو أنه كان شريكاً لويين ... خصوصاً بعد أن نجحت السرقة .

ومن يقول أنه انتحر ؟

كيف ؟ ... ألم يجدوا جثته ؟

- أعود فأقول لك أن لوين لا يمكن أن يتسبب في موت أحد .

- ومع ذلك فقد مات سبارمبينتو . وتعرفت زوجته على جثته .

- كنت أتوقع منك أن تقول هذا أيها الرئيس . أنا الآخر أزعجنى هذا الأمر جداً ، لأننى رأيت أرسين لوين أولاً ثم شريكه الكولونل سبارمبينتو ثانياً ، وجثته ثالثاً . وكان هذا كثيراً بالنسبة لى .

وأمسك جانيمار ببعض الجرائد وناول إحداها لمسيو ديدوا . وهو يقول .
- لعلك تتذكر أننى كنت أتصفح بعض الجرائد عندما قدمت أول مرة .. كنت أبحث إذا لم يكن قد وقع حادث يمكن أن يكون له علاقة بقصتنا هذه ، ويؤكد نظريتى . فتكرم وأقرأ هذا النيا .

« أبلغنا مراسلنا بحادث غريب وقع فى مدينة ليل ، فقد اختفت صباح أمس من معرض الجثث فى تلك المدينة جثة رجل مجهول ألقى بنفسه تحت عجلات الترام . ولا يعرف أحد سبب هذا الاختفاء الغريب » .

راح مسيو ديدوا يفكر ثم قال : إذن ؟ .. ماذا تعتقد ؟

- أجاب جانيمار : أننى قدمت من ليل ، والتحقيق الذى قمت به لا يرقى إليه أى شك من هذه الناحية .. اختفت الجثة فى نفس الليلة التى أقام فيها الكولونل سبارمبينتو حفلته ، ونقلت فى سيارة إلى فيل دافرى مباشرة . وبقيت بجوار شريط السكة الحديد حتى المساء .

قال مسيو ديدوا : بالقرب من النفق ؟

- أجل أيها الرئيس .

- بحيث أن الجثة التى عثروا عليها هى تلك الجثة . وقد ألبست ثياب

الكولونل سبارمبينتو

تماماً .

- ولكن لماذا كل تلك الأحداث إذن ؟ لماذا يسرق سجادة فى البداية ثم يعيدها ، ثم يسرق السجاجيد الاثنى عشرة بعد ذلك ؟ . ولماذا تلك الحفلة ؟ وتلك الضجة ؟ وكل شئ ؟ أن قصصك غير متماسكة يا جانيمار

- أنها غير متماسكة لأنك توقفت متكى فى منتصف الطريق من فرط غرابتها . ومع ذلك فقد كان لابد لى من الذهاب بعيداً بعيداً نحو غير المعقول . والمذهل . ومهما يكن فلم لا ؟ أفلا يتعلق الأمر بأرسين لوين ؟ ألا يجب أن نتوقع منه كل ما هو غريب وشاذ ؟ ألا يجب أن نواجه أكثر النظريات جنوناً . وعندما أقول أكثرها جنوناً فليست الكلمة صحيحة . وكل ذلك ، على العكس منطقي ويسيطر جداً . شركاء .. ولماذا ؟ مادام من الأسهل والطبيعى أن يتصرف بنفسه . شخصياً . بيديه هو بالذات . ويوسائله فحسب

صاح مسيو ديدوا فى دعر كان يفزاید مع كل لحظة . ماذا تقول ؟ ..
ماذا تقول ؟ ... ماذا تقول ؟

ضحك جانيمار مستهزئاً مرة أخرى وقال أن الأمر يذهلك أيها الرئيس ... كما حدث معى تماماً كنت مخبولاً من فرط الدهشة . ومع ذلك فقد مضيت فيها إلى النهاية .. فأننى أعرف لوين . وأعرف ما يمكن أن يكون جديراً به

وعاد مسيو ديدوا يقول هذا مستحيل مستحيل

- بل على العكس ممكن أيها الرئيس . ومنطقي تماماً . وواضح كل

فهناك شيء آخر

- شيء آخر ؟

- نعم ، أيها الرئيس ، فلا تنس أن الكولونل سبارميينتو كان ضحية سرقة كبيرة ، وأنه إذا كان قد مات فإن أرملته على قيد الحياة .. وأرملته هي التي ستقبض إذن ..

- تقبض ماذا ؟

- ماذا ؟ .. ما تستحقه طبعاً .. قيمة التأمين .

دهش مسيو دينوا . بدت له القضية فجأة بكل ما فيها من معنى حقيقي .

وقال :

- هذا صحيح .. هذا صحيح .. فقد أمن الكولونل على سجاجيده .

- طبعاً ... و بمبلغ كبير .

- كم ؟

- ثمانمائة ألف فرنك .. موزعة على خمس شركات مختلفة .

- وهل حصلت مدام سبارميينتو كل هذه المبالغ ؟

- أنها حصلت على مائة وخمسين ألف فرنك أمس ومائتي ألف فرنك اليوم ، اثناء غيابي . أما المبالغ الأخرى فيجب أن تحصلها خلال هذا الأسبوع .

- ولكن هذا فظيع .. كان يجب ..

- ماذا أيها الرئيس . انهما انتهزا فرصة غيابي لتحصيل هذه المبالغ ، وعند عودتي التقيت فجأة بمدير إحدى شركات التأمين ، أعرفه منذ مدة

الوضوح . أنه تجسيد بسيط لرجل واحد . وأن طفلاً ليحل ملابسه هذه القضية في دقيقه باستبعاد بسيط . لنستبعد جثة الميت ، فيبقى أمامنا سبارميينتو ولويين . ولنستبعد سبارميينتو ..

تمتم رئيس البوليس : فيبقى أرسين لويين .

- نعم . يبقى لويين وحده . لويين وقد عاد من بين الأموات ... لويين الذي تحول قبل ذلك بستة شهور إلى الكولونل سبارميينتو . وأثناء وجوده في بريتانى يعلم نبأ العثور على الاثنى عشرة سجادة فيشتريها ، ثم يدير سرقة أجمل واحدة منها لالغات النظر إليه . ولكي يبعد عنه الأنظار يدير سبارميينتو تلك الحفلة بصورة مروعة ويروع مدعويه . وعندما يتم الاعداد لكل ما يريد يبدأ العمل ويسرق باسم لويين ويختفى سبارميينتو ، ضحية لويين ، ويموت من غير أن ترقى إليه الشبهات ، ومن غير أن يشك فيه أحد ، تاركاً خلفه زوجة لكى تجنى مكاسب العملية ...

وهنا أمسك جانيمار عن الكلام ، ونظر إلى رئيسه كأنه يستدعى انتباهه لأهمية ما سوف يقول ثم استطرد :

- تاركاً خلفه أرملة شديدة الحزن .

- مدام سبارميينتو ؟ ... هل تعتقد حقاً ؟

قال : أن لويين لا يدير عملية كهذه دون أن يكون في نهايتها . مكاسب كبيرة .

- ولكن يبدو لى أن المكاسب كان يمكن تحقيقها ببيع السجاجيد ..

في أمريكا أو في أى بلد آخر .

- هذا صحيح . ولكن سبارميينتو كان يمكنه أن يبيعها بنفسه . وإذن

ظويلة . ويحدث معه عرفت الأمر

لزم مدير البوليس الصمت لحظة طويلة وهو مشدوه ثم قال

- يا له من رجل على كل حال !

هز جانيمار رأسه وقال : نعم ، أيها الرئيس . أنه وغد .. ولكن يجب أن اعترف بأنه رجل شديد المراس . فلكى تطلع خطته كان لا بد من أن يناضل أثناء أربعة أو خمسة أسابيع . وما كان لأحد أن يشتبه أيداً في الكولونيل سبارميينتو . كان يجب أن تتركز كل الأحقاد وكل الأبحاث على لويين وحده . وأن نجد أنفسنا في نهاية الأمر أمام أرملة محزونة وهي أدبث العنقاء ، فتاة الاسطورة . والمخلوقة الرقيقة التي يسعد رجال التأمين أن يضعوا بين يديها ما يخفف حزنها . وهذا ما حدث .

وكان الرجلان ، كل منهما بجوار الآخر ، ينظر أن إلى بعضهما البعض ملياً . وقال الرئيس

- ومن هي تلك المرأة ؟

- سونيا كريشنوف .

- سونيا كريشنوف ؟

- نعم . تلك الروسية التي اعتقلتها في العام الماضي في قضية التاج السروق والتي ساعدها لويين على الهرب .

- هل أنت واثق ؟

- كل الثقة . وقد حيرنى لويين إلى درجة أنني أهملت الاهتمام بها . ولكن . عندما عرفت النور الذي تقوم به تذكرت أنها سونيا . وقد تنكرت في صورة انجليزية .. سونيا التي لا تتردد في مواجهة الموت في سبيل لويين

واقفه مسيو ديدوا قائلاً انه لصيد ثمري يا جانيمار

- بل لدى ما هو افضل لتقديمه إليك

- وما هو ؟

- مرضعة لويين العجوز .

- فيكتوار ؟

- أنها هنا منذ أن قامت مدام سبارميينتو بدور الأرملة .. أنها الطاهية .

قال مسيو ديدوا : أوه . أوه .. لك تهاننى يا جانيمار .

- ما زال لدى ما هو أفضل أيها الرئيس .

أجفل مسيو ديدوا . وكانت يد المفتش العام ترتعش في يده .

- ماذا تعنى يا جانيمار ؟

- أنتظن إيها الرئيس اننى كنت أزعجك في هذه الساعة لمثل هذا الصيد .

سونيا وفيكتوار ... كان في امكانى أن انتظر

تعتم مسيو ديدوا وقد ادرك أخيراً سبب اضطراب المفتش العام

- وإذن ؟

- ألم تخمن بعد أيها الرئيس ؟

- هل هو هنا ؟

- أنه هنا .

- مختبئاً ؟

- ابدأ ، وإنما متتكر فحسب ... أنه الخادم .

لم يبد مسيو دينوا أية حركة هذه المرة . ولم يبتلق . فأس شجاعة لويين
أذهلته . وضحك جانيمار ساخراً وقال

- لقد زاد الثالث المقدس بشخص رابع . كان يمكن أن تقوم أيدى
العنقاء بأخطاء . وكان لابد من وجود الرئيس . وقد جرى وعاد . منذ ثلاثة
أسابيع وهو يحضر تحقيقاتى ويراقب تقدمها فى هدوء .

- هل عرفته ؟

- لا أحد يعرف لويين . أن له دراية تامة بفنون الماكياج . ويتحول من
شخصية إلى أخرى بحيث لا يمكن لأحد أن يعرفه . ثم أنه ما كان ليخطر
لى أيداً .. ولكن هذه الليلة . وبينما كنت أراقب سونيا وأنا مختبئ . تحت
السلم سمعت فيكتور تخاطب الخادم وتدعوه « صغيرى » وسطع الضوء فى
نهنى على الفور فهى تدعو لويين هكذا دائماً .

بدا مسيو دينوا ومبلبل خاطر بدوره هو الآخر لوجود العدو الذى طالما
طارده ولم يستطع القاء القبض عليه أبداً . وقال فى صوت أصم

- أنه وقع فى أيدينا أخيراً .. ولا يستطيع أن يهرب .

- كلا يا سيدى .. أنه لن يستطيع . لا هو ولا المرأتان .

- وأين هم ؟

- سونيا وفيكتور فى الطابق الثانى أما لويين فى الطابق الثالث .

قال مسيو دينوا وقد أحس بالقلق فجأة . ولكن ، ألم يمر من
نوافذ تلك الغرف السجاجيد عندما اختفت ؟

- نعم .

- إذا كان الأمر كذلك فيمكن للويين أن يهرب معها أيضاً ما دامت هذه
النوافذ تفضى إلى شارع دوفرينوى

- طبعاً أيها الرئيس . ولكننى اتخذت احتياطاتى . فبمجرد قدومك أرسلت
أربعة من رجالنا تحت نافذة شارع دوفرينوى وأصدرت إليهم أوامر قاطعة .
اطلاق الرصاص على أى أحد يظهر فى النوافذ ويحاول الهرب .
الرصاص الأولى فى الهواء . والثانية فى الصميم .

- إذن فقد فكرت فى كل شىء يا جانيمار . وما أن يطلع النهار .

- وهل يجب أن ننتظر أيها الرئيس ؟ هل يجب مراعاة الأصول مع
مثل هؤلاء الأوغاد ؟ ... وماذا لو استطاع الهرب أثناء ذلك . ماذا لو لجأ إلى
إحدى الاعبيه التى لا نعرفها . كلا . أنه وقع فى أيدينا . ولا بد أن نعتقله
الآن فوراً

وخرج جانيمار وهو ساخط ونافذ الصبر . واجتاز الحديقة وأدخل ستة
من رجاله ثم عاد وقال

- قضى الأمر أيها الرئيس . وقد أصدرت الأمر إلى الرجال الذين
يراقبون شارع دوفرينوى بأشهار مسدساتهم وتصويبها نحو النوافذ . هيا
بنا .

وكانت تلك التحركات قد أحدثت ضجة ما . لم تفت عن سكان البيت
بالطبع . وأحس مسيو دينوا بأنه لا مناص من أن يبدأ العمل فقال

- هلم بنا .

وصعد الرجال الثمانية السلم ومسدساتهم فى أيديهم دون ابداء أى
حرص فى لهفتهم على مفاجأة لويين قبل أن يسعفه الوقت لتدبير دفاعه .

وصاح جانيمار وهو يدفع على باب الغرفة التى تقيم فيها مدام
سيارمينتو
- افتحوا -

ودفع أحد رجال الشرطة الباب وحطمه .

ولكنهم لم يجدوا أحداً فى الغرفة . ولم يكن هناك أحد كذلك فى غرفة
فيكتور . وصاح جانيمار .

- انهما فوق . لقد انضمنا إلى لويين فى غرفته فتوخوا الحذر .

وصعد الرجال الثمانية إلى الطابق الثالث وكم كانت دهشة جانيمار
عندما وجد باب الغرفة مفتوحاً على مصريه والغرفة شاغرة .

وكانت جميع الغرف الأخرى شاغرة هى الأخرى فصاح

- يا للشيطان ! ... أين ذهبوا ؟

ولكن الرئيس ناداه ، وكان قد هبط إلى الطابق الثانى ولاحظ أن إحدى
النوافذ لم تكن محكمة الغلق وإنما مردودة فحسب . وقال يخاطبه

- ها هو الطريق الذى سلوكه .. نفس طريق السجاجيد . لقد قلت لك
ذلك... شارع دوفرينوى .

قال جانيمار وهو يتميز غضباً : ولكن بالشارع حراسة .. ولو أنهم
هربوا من هذا الطريق لأطلق رجالنا الرصاص عليهم .

- ذلك انهم هربوا قبل حراسة الشارع .

- كان الثلاثة فى غرفهم عندما اتصلت بك بالتليفون .

- هربوا بينما كنت تنتظرنى بجوار الحديقة .

. ولكن كيف ولماذا ؟ لم يكن هناك أى سبب يحدوهم إلى الهرب
اليوم بدلا من العد أو بدلا من الاسموع المقبل بعد ان حصلوا جميع
المبالغ المؤمن عليها

بل كان هناك سبباً ، عرفه جانيمار عندما رأى على إحدى المناضد
رسالة باسمه ، وعندما فضاها وعرف مضمونها

، أنا الموقع أدناه ، ارسين لويين ، اللص الشريف ، والكولونل
سيارمينتو سابقاً ، والخدام سابقاً ، والجثة سابقاً ، أشهد بأن المدعو
جانيمار أثبت أثناء إقامته فى هذا البيت بأنه يتمتع بأحسن المزاي ، ويسلوك
سليم وبأنه مخلص ويقظ ، وأنه أفسد جزءاً من خططى بدون مساعدة من
أحد ، وانقذ شركات التأمين من دفع أربعمائة وخمسين الف فرنك . واننى
امننه على ذلك ، وألتمس له العذر طواعية لأنه لم يتوقع أن التليفون الموجود
بالطابق الأرضى متصل بالتليفون الموجود فى غرفة سونيا كريشنوف .
وأنه باتصاله برئيس البوليس اتصل بى فى نفس الوقت لكى أباير بالفرار
بأسرع ما يمكن . وهذه غلطة طفيفة لا يمكن أن تعتم بريق خدماته أو أن
تقل من قيمة انتصاره .

ولهذا أرجو أن يتفضل بقبول اعجابى الشديد بمقدرته وبخالص حبه
ومودتى

ارسين لويين



وهو يفغل إحدى الرسائلتين وقال وهو يخاطب واطسون :

- هذه الرسالة تأتينا بقضية هامة ، كما كنت تتشد ، فاقراً .

وقراً واطسون ما يلي :

« سيدى

أرسل إليك هذه ، انشد معونتك ، فقد رحت ضحية سرقة هامة ، ولم تسفر الأبحاث التى قمنا بها حتى الآن عن أية نتيجة .

وأرسل إليك بنفس البريد بضع جرائد تناولت هذه القضية ، فإذا شئت الاضطلاع بها فسأضع بيتى تحت تصرفك ، وأرجو أن تحدد بنفسك المبلغ الذى تراه كافياً لنفقات سفرك .

وأرجو أن تتكرم بابلاغى ببرقية ، وإليك خالص تحياتى »

البارون فيكتور دامبرفيل

١٨ شارع موريللو ٥٠ »

وقال هولز . آه . هذا عظيم .. رحلة إلى باريس . ولم لا ؟ . فعند نضالى المشهور مع أرسين لوبين لم تواتى الفرصة للعودة إليها ، وسوف يروق لى أن أرى عاصمة الدنيا فى ظروف أحسن .

ومزق الشيك إلى أربع قطع . وبينما كان واطسون يصف باريس بأقبح الصفات ، خاصة وأن نراعه كان لا يزال متوتراً ولم يعد بعد إلى ليونته العادية ، فضم الرسالة الثانية ، وما كاد يلقى عليها نظرة حتى بدرت منه كلمة سخط ، وعبست أساريره ، وطوح بها إلى الأرض بعد أن فركها فى يده وكورها ، فصاح واطسون مفزوعاً :

٤ سر المصباح

جلس شرلوك هولمز واطسون ، كل منهما على جانب من الموقد . يستدفنان وكان غليون هولمز قد انطفأ ، فأنقغ منه الرماد ثم حشاة ثانية وأشعله ، وجمع حول ركبتيه طرفى الروب دى شامبر ، وأخذ يطلق سحابات طويلة من الدخان نحو السقف .

وراح واطسون ينظر إليه كما ينظر الكلب الوفى إلى صاحبه ، وهو يتساءل هل يقطع الاستاذ جبل الصمت ويعترف له بما يجول بخاطره من أفكار ، وإن رآه يلزم الصمت نهض واقترب من النافذة . وكان الشارع الحزين يمتد بين البيوت الكئيبة ، تحت سماء يهطل منها مطر غزير وعنيف . ومرت مركبة ، ثم أخرى ، ولم يلبث أن صاح يقول :

- آه ... ها هو ساعى البريد .

وما هى الا لحظة حتى دخل الساعى خلف الخادم وقال :

- رسالتان مسجلتان يا سيدى . هل لك أن توقع هنا .

وقع هولمز باستلام الرسائلتين ، وشيع الساعى حتى الباب ، ثم عاد

- ماذا ... ما الخبر ؟

والتقط الرسالة المكورة ، وبسطها وقواها والدهشة تستبد به :

« استاذى العزيز :

أنت تعرف مدى اعجابى واهتمامى بك ، ولهذا أرجوك ألا تقبل المهمة التى يلتصون مساعدتك فيها ، ذلك لأن شحلك سيتسبب فى أضرار كبيرة ، ولن تكون نتيجة الجهد الذى سنبذله إلا القشل وستضطر أنت نفسك أن تجهر بفشلك علانية .

« وانى إذا أتعنى أن أجفك هذه المهانة أتوسل إليك ، باسم صداقتنا أن تلزم بيتك وأن تقبع بجوار النار فى هدوء .

« تحياتى الخاصة لك أيها الاستاذ العزيز ولمستر واطسون .

ارسين لويين »

هتف واطسون مشدوها : ارسين لويين !

راح هولمز يهرى بقبضته على المنضدة وهو يقول :

- أه .. أن هذا الحيوان بدأ يضاقنى ، وهو يسخر منى ، كما لو كنت طفلاً . أجهر بفشلى علانية . ألم أرغمه على إعادة الماسة الزرقاء ؟
قال واطسون : أنه يخاف .

- أنك أحسق .. أن ارسين لويين لا يخاف أبداً ، والدليل على ذلك أنه يتحدانى .

- ولكن كيف عرف بأمر الرسالة التى أرسلها إلينا البارون دامبرفيل ؟

- وانى لى أن أعلم .. أنك تلقى أسئلة حمقاء يا عزيزى .

- خطر لى . تصورت ..

- خطر لك أنتى ساحر !

- كلا . ولكننى رأيتك تاتى بمعجزات .

- لا أحد يأتى بمعجزات .. لا أنا ولا غيرى . أننى أفكر وأستنتج .
واستدل . ولكننى لا أؤمن ، فلا يخمن إلا الأغبياء .

تظاهر واطسون بثواضع كلب مغلوب على أمره ، وبذل جهده لى لا يكون غيباً ، ولكى لا يخمن لماذا راح هولمز يفرع أرض الغرفة جينة وذهاباً ، يخطوات كبيرة غاضبة . ولكن عندما دق هولز الجرس يستدعى خادمه وعندما أمره أن يعد حقيبته لم يسعه إلا أن يسأله .

- هل أنت ذاهب إلى باريس يا هولمز ؟

- يحتمل .

- وأنت ذاهب رداً على تحدى لويين أكثر منه خدمة للبارون دامبرفيل .

- يحتمل .

- سأنصحك يا هولمز .

توقف هولمز وقال : أه ... أه ... ألا تخشى أن يصيب نرايك اليسرى ما أصاب نرايك اليمنى ؟

- وماذا يمكن أن يقع لى وأنت معى ؟

- حسناً . أنت شجاع ، وسوف تثبت لذلك السيد أنه ربما اخطأ بتحديه لى بكل هذه الوقاحة . هيا يا واطسون لى نلحق بأول قطار .
- ألن تنتظر الجرائد التى قال البارون أنه أرسلها إليك .

- وما الجدوى من ذلك ؟

- هل أرسل إليه برقية ؟

- كلا . فان لوبين سيعرف عندئذ أنتى قادم ، ولا أريده أن يعرف ذلك .

يجب أن نتوخى كل الحرص هذه المرة .

مببط الصديقان فى ميناء نوفمبر بعد ظهر اليوم نفسه . وكان الجو صحواً أثناء الرحلة فى القطار السريع من كاليه إلى باريس التى استغرقت ثلاث ساعات قضاها هولمز فى نوم عميق . واستيقظ سعيداً ويقظاً . فان تونغ صراع جديد مع ارسين لوبين جعله يشعر بمتعة غريبة . وراح يفرك يديه بفرحة رجل يستعد لى ينهض من مسرات كثيرة .

وخرج من المحطة وكله نشاط ، بعد أن ارتدى المعطف الذى يميزه . وكان الزحام شديداً ، وقد رافقه ذلك وقال :

- هذا أفضل يا واطسون ، فلن نجازف بأن يعرفنا أحد وسط هذا الجمع من الناس .

ولكنه ما كاد يتقدم بضغ خطوات حتى سمع من يقول له : مستر هولمز ، أليس كذلك ؟

توقف مشلولهاً بعض الشيء ، فمن ذلك الشيطان الذى يشير إليه باسمه؟ ورأى بجواره امرأة شابة ترتدى ثوباً بسيطاً مميزاً ، وجهها الجميل به مسحة من القلق والحزن . وعادت تقول :

- أنت مستر هولمز طبعاً .

قال فى صوت خشن : ماذا تريدين ؟

- اصغ إلى يا سيدى . أن الامر خطير جداً ، وأنا أعرف أنك ذاهب إلى

شارع موريللو . رقم ١٨ . ولكن لا يجب أن تمضى إليه . أوكد لك أنك سوف تدم على ذلك ، ولا تظن أن لى أية مصلحة وإنما اتكلم بحق وبكل صراحة .

حاول أن يقصدها عن طريقه ، ولكنها راحت تقول فى اصرار :

- أرجوك يا سيدى . لا تكن صلب الرأى . أه ، لو أعرف كيف أقتك . انظر إلى عيني .. أنهما ينطقان بالصراحة ، ويقولان الحقيقة .

وقدمت إليه عينيها .. عيني رزيتين ، صافيتين كأنهما تعكسان روحها فى بالذات . وهز واطسون رأسه وقال :

- يبدو أن الأنسة صادقة .

قالت : بكل تأكيد ، ويجب أن تتق بى .

أجاب واطسون : انتى أثق بك يا أنسة .

- أوه ما أسعدنى إذن . وصديقك أيضاً ، أليس كذلك ؟ أوه . إننى متأكدة . سيكون كل شىء على ما يرام . وأنها لفكرة جميلة تلك التى خطرت لى . اصغ إلى يا سيدى . هناك قطار سينطلق إلى كاليه بعد عشرين دقيقة . سوف تستقله إذن . تعالى معى . الطريق من هنا . وليس أمامك الكثير من الوقت .

وحاولت أن تجر هولمز . ولكنه أمسكها من ذراعها ، وقال فى رفق بقدر ما استطاع :

- معذرة يا أنسة . لا يمكننى تلبية رغبتك ، فانتى لا أتخلى أبداً عن مهمة تناط بى .

- أتوسل إليك . أتوسل إليك .. أه ، لو تستطيع أن تفهم .

ببد أنه تجاوزها ، وابتعد مسرعاً ، وقال وأظنون بحاطبها :

- تنزعى بالأمل - سبضى حتى نهاية المهمة - وهو لم يعرف النشل فى حياته .

وراح يجرى لكى يلحق بهولمز .

شرلوك هولمز وأرسين لويين

ظهرت هذه الحروف الكبيرة ، وقابلتهما عند أول خطواتهما ، فقد سار عدد من الرجال ، بعضهم خلف بعض ، وفى أيديهم عصى غليظة محددة راحوا يدقون بها على الأرض فى رتابه ، وعلى ظهورهم لافتات ضخمة هذا نصها بالترتيب :

* مسارة بين شرلوك هولمز وأرسين لويين - وصول البطل الانجليزى - المخبر السرى الكبير للكشف عن غموض لغز شارع موريللو - اقرأ التفاصيل فى جريدة ايكودى فرانسى . *

تقدم شرلوك إلى أحد هؤلاء الرجال وفى نيته أن يمسك قبلا يديه ويعطمه تحطيماً هو واللوحه التى فى يده . ولكن الجمهور كان قد تجمع حول هذه اللوحه فكظم غيظه وسأل الرجل قائلاً :

- متى طلبوا منك القيام بهذه العملية ؟

- صباح اليوم .

- ومتى بدأت عملك ؟

- منذ ساعة .

وهل كانت اللوحات جاهزة .

اه . نعم . عندما ذهب هذا الصباح إلى الوكالة كانت جاهزة .

إذن توقع أرسين لويين أن هولمز سيقبل الصراع ، بل الأكثر من هذا ، أن الخطاب الذى أرسله إليه يثبت أنه يتمنى هذا الصراع وأنه ينوى منازلته مرة أخرى ، فلماذا ، وأى سبب يدفعه إلى هذا النضال .

بدا التردد على هولمز لحظة . لا بد حقاً أن لويين واثق من الفوز مادام قد أبدى مثل هذه الوقاحة . أن إسرعه فى القنوم هكذا ، عند أول نداء ، يعنى أنه قد وقع فعلاً فى القخ . ومع ذلك فقد هتف يقول فى طفرة من النشاط :

- فلم بنا يا واطسون . أيها السائق ، امض بنا إلى رقم ١٤ ، بشارع موريللو .

دوئب إلى المركبة وقد انتفخت عروقه . وانضمت قبضته ، كما لو كان ماضياً إلى حلبة الملاكمة .

وبشارع موريللو بنايات فخمة خاصة ، تطل واجهاتها على حديقة مونسو ، والبيت رقم ١٨ واحد من تلك المباني الجميلة ، ويقع فيه البارون هوروجته وأبنائه ، وقد أنشأ وفرشه بأفخم أنواع الأثاث ، وبطريقة فنية تدل على نوقه الرفيع وساعدته على ذلك ثروته الطائلة ، لأنه يعتبر من أصحاب الملايين . ويتقدم البيت فناء فسح ، وتحف به من اليمين واليسار ملحقات الخدمة ، وفى الخلف حديقة تشارك بأغصانها حديقة مونسو .

وبعد أن دقا الجرس ، اجتاز الانجليزيان الفناء واستقبلهما خادم تقدمهما إلى صالون صغير ، وجلسا وألقيا نظرة قاحصة على الأشياء

التمنية التي بالمكان . وقال واطسون :

- أشياء جميلة ، تدل على النوق وحب الجمال . ويمكن أن نستنتج أن الذين اتسع وقتهم لجمع هذه النفائس أناس متقدمون في العمر ... ربما في الخمسين من أعمارهم .

ولم يزد فقد انفتح الباب ، ودخل مسيو دامبرنال ، تتبعه زوجته ، وخلافاً لاستنتاج واطسون ، كان كل منهما في مقتبل الشباب ، تتسم هيئتهما بالاناقة والدقة ، وغالباً في تقديم الاعتذارات :

- أنها لمكرمة كبيرة منكما . مثل هذا الازعاج . أننا سعيدان تقريباً . لازعاجنا إياكما مادام هذا الازعاج قد تسبب في سرورنا . ولكن الوقت من ذهب ، ووقتك أنت بالذات يا مستر هولز . ولهذا سأمضى إلى الغاية قديماً . ما رأيك في هذه القضية ، وهل هناك أمل في إنجازها على ما يرام ؟

- ولكن يجب أن أعرف تفاصيلها أولاً .

- ألم تعرفها ؟

- كلا . وأرجوك أن تشرح لي الأمر بالتفصيل ، ومن غير أي سهو .

- الأمر يتعلق بسرقة .

- ومتى وقعت ؟

أجاب البارون : يوم السبت الماضي .

- منذ ستة أيام إذن .. أنا مصغ إليك الآن .

- يجب أن أقول لك أولاً أنني أنا وزوجتي ، رغم أننا نعيش الحياة التي يتطلبها مركزنا الاجتماعي . فإنتا لا تخرج إلا قليلاً . تربية البنين وبعض

العائلات والاشراف على تجميل قصرنا . هذه هي حياتنا . وكل أمسياتنا نراكوها تقريباً نقضيها هنا ، في هذه الغرفة ، وهي الصالون الخاص بزوجتي ، حيث جمعنا بعض التحف . وعليه ففي نحو الساعة الحادية عشرة من مساء يوم السبت الماضي أطفأت النور ، ومضيت وزوجتي كما هي العادة إلى غرفتنا .

- وتقع ؟

- بجوار هذه الغرفة .. هذا الباب الذي تراه . وفي اليوم التالي . أي يوم الأحد ، استيقظت في ساعة مبكرة . ولما كانت زوجتي ، سوزان ، لا تزال نائمة فقد جئت إلى هذه الغرفة ، بقدر ما أمكنتني من هبوب ، حتى لا أوقظها . ودهشت إذ وجدت هذه النافذة مفتوحة ، مع أننا تركناها بالأسس مغلقة .

- قد يكون أحد الخدم ؟

- لا أحد يدخل هنا قبل أن تدق الجرس ، ثم أنني أحرص دائماً على أن أضع المزلاج خلف هذا الباب الثاني الذي يتصل بالردهة . وهذا يدل على أن النافذة فتحت إذن من الخارج . ولم البت أن وجدت الدليل على ذلك ، فإن لوح الزجاج الثاني للمصراع الأيمن قد قطع بجوار الترياس . والنافذة كما يمكنك أن ترى تؤدي إلى بقعة منبسطة تحيط بها شرفة حجرية ، ونحن هنا في الطابق الأرضي ، وترى منه الحديقة التي تمتد خلف البيت ، والباب الذي يفصلها عن حديقة مونسو . ومن المؤكد إذن أن الرجل أقبل من حديقة مونسو ، واجتاز الباب بواسطة سلم ، وصعد إلى الشرفة . وقد وجدنا تحت الباب آثار السلم ، ونفس الآثار موجودة تحت الشرفة . ثم أن الشرفة نفسها بها خدشان أحدهما قائماً السلم .

- وحديقة مونسو ؟ .. ألا تغلق ليلاً ؟

- كلا . ولكن هناك بيت جارى بناؤه ، فى رقم ١٤ ، ومن السهل الدخول منه .

فكر شلوك هولمز يضع لحظات ثم قال :

- لتتكم عن السرقة الآن . وقعت إذن فى الغرفة التى نحن فيها الآن ؟

- أجل . كان بين لوحة هذه العنقاء ، التى يرجع عهدها إلى القرن الثامن عشر وهذا التمثال القضى مصباح صغير أثرى ، وقد اختفى .

- وهل هذا كل شيء ؟

- نعم .

- وهل لهذا المصباح قيمة ما ؟

- أنه من تلك المصابيح النحاسية التى كانت تستخدم فيما سبق . له ساق وية وعاء لوضع الزيت ، وبذلك الوعاء بضعة ثقوب خاصة للفتائل .

- صفوة القول ، ليس له أية قيمة تذكر .

- ليست له قيمة كبيرة فى الواقع . ولكن كان به مخبأ اعتدنا أن نخفى فيه جوهرة نفيسة قديمة .. تحفه ذهبية مرصعة بالياقوت والزمرد ولها قيمة كبيرة جداً .

- ولم هذه العادة ؟

- الحق أنتى لا أعرف ماذا أقول يا سيدى . لعل استخدامنا لهذا المخبأ كان مجرد لهو .

- ألم يكن أحد يعرف ذلك ؟

كلا .

اعترض هولمز : فيما عدا الذى سرق التحفه طبعاً ، وإلا ما كان ليزعج له لسرق الصباح .

طبعاً . ولكن كيف تمكن من معرفة ذلك المخبأ ، ما دامت الصدفة رجعا هى التى كشفت لنا عن كيفية استخدامه .

ربما كشفت نفس الصدفة لأحد المخدم ، أو لأحد المترددين على البيت . ولكن لنتسّر . هل أبلغت البوليس ؟

بكل تأكيد . وقد قاموا بالتحقيق ، كما قام مخبرو الصحف المهتمون مثل هذا النوع من القضايا بالتحقيق هم الآخرون . ولكن يبدو ، كما كتبت لك ، أن القضية معقدة ولا يمكن حلها على الأطلاق .

نهض هولمز ، وسار نحو النافذة . وفحصها ، كما فحص البقعة المنسطة والشرفة ، واستخدم عدسته المكبرة فى فحص الخدشين ، وطلب من مستر بالمرفيل أن يمحى به إلى الحديقة .

رمى الخارج ، جلس على مقعد من الخيزران ، ونظر إلى سطح البيت وهو يكرهعق ثم انجحه فجأة نحو صندوقين من الخشب استخدمنا فى تغطية آثار السلم . ورفعهما وجشا على ركبتيه ، وفحص الجدران . وقام ببعض القياسات ، ونفس العملية بجوار البرابة .

وكان هذا كل شيء .

وعندما عاد إلى الصالون الصغير لزم هولمز الصمت بضع دقائق ثم

خدعة هي أيضاً ، فيفحص الثقبين في أسفل البقعة المنبسطة ، والثقبين الآخرين بجوار البوابة نجدهما متشابهين ، ولكنهما غير متساويين ، والمسافة بين الثقبين الأولين ٢٣ سنتيمتراً ، والأخرى ، بين الثقبين الآخرين ٢٨ سنتيمتراً ، وهذا دليل على أنهما أحدثتا بواسطة قطعة مستديرة من الخشب .

أن أفضل برهان على ما تقول هو العثور على هذه القطعة الخشبية .
قال هولمز : هاهي .. أنتى وجدتها في الحديقة تحت أحد أحواض الزهور .

لم يسع البارون إلا الاعتراف ببرايم هولمز ، فان الإنجليزي لم يأت إلى البيت إلا منذ أربعين دقيقة ، ومع ذلك فقد قوض كل الأدلة والحقائق الظاهرة ، وبرزت حقائق الظاهرة ، وبرزت حقائق أخرى مبنية على أسس أخرى سليمة ، وهي استنتاجات شرلوك هولمز . وقالت البارونة :
- إن الاتهام الذي توجهه إلى خدمنا خطير يا سيدي . فجمعهم من النعم القدامى المخلصين ، ولا يمكن لأحد منهم أن يفكر في خيانتنا .
- إذا لم يكن بينهم من يخونكم فيماذا تفسرين هذا الخطاب الذي جازى في نفس اليوم الذي كتبتم إلى فيه .

وسط البارونة الخطاب الذي أرسله إليه أرسين لويين ، فقالت مشدوهة :
- أرسين لويين ... وكيف عرف ؟

- ألم تتكلما عن خطابكما هذا أمام أحد ؟

قال البارون : أبداً . إنما هي فكرة خطرت لنا معا في نفس الوقت .

- منذ أن بدأت قصتك يا سيدي البارون دهشت من بساطة العملية . فوضع سلم ، وقطع لوح من الزجاج واختيار شمس بالذات وسرقت ثم المضي بكل بساطة ، أن الأمور لا تجرى بمثل هذه السهولة .

- والمعنى ؟

- المعنى أن سرقة المصباح قد تمت تحت إشراف أرسين لويين هتق البارون مشدوهاً : أرسين لويين ؟

- ولكنها تمت بعيداً عنه ، ومن غير أن يدخل هذا البيت . لعل أحد الخدم هبط من غرفته مستخدماً ماسورة وأبنتها في الحديقة .

- ولكن علام تستند في قولك هذا ؟

- ما كان أرسين لويين ليخرج من هذه الغرفة صفر اليدين .

- صفر اليدين ؟ . والمصباح ؟

- لو أنه أخذ المصباح لأخذ هذا التمثال المرصع بالماس . أو هذا العقد من الحجر الكريم . فلم يكن أمامه إلا أن يمد يديه . وإذا لم يكن قد فعل ذلك فذلك لأنه لم يستطع .

- والآثار التي وجدناها ؟

- إن هي إلا خدعة حتى لا نغفلن إلى الحقيقة .

- والخدمان فوق الشرفة ؟

- خدعة هي أخرى ، أحدثتهما ورق الصنفرة ، وإليك بعض ثرائ الصنفرة ، وجدتها فوق الأرض .

- والآثار التي تخلفت عن قائما السلم .

فلنذهبها ونقرأها .

« أرسل إليك معبراً عن إعجابي الشديد ، فالنتائج التي حصلت عليها في هذا الوقت القصير مذهلة . وقد أثارت دهشتي حقاً .

ارسين لوين »

وبدت من هولمز حركة تدل على الضيق ، وعرض البرقية على البارون :
- لعلك تعتقد الآن يا سيدي أن لجدرانك عيوباً وأذناً .

نعم دامبرفال في ذهول : إنني لا أفهم شيئاً .

- ولا أنا . ولكن الذي أفهمه هو أن ما من حركة تقع هنا إلا ويراهها هو ذلك . ولا كلمة إلا ويسمعها أيضاً .

نام والظنون في تلك الليلة لا يشغل باله شيء ، شأن الرجل الذي قام بواجبه ولم يعد هناك ما شغله إلا الاستغراق في النوم .

ولهذا سرعان ما راح في النوم ، ورأى أحلاماً سعيدة ، كان يطارد فيها لوين هو وحده . ومستعد لالقاء القبض عليه . وأحس بشخص يتحسس فركاً فأمسك بمسدسه ، وكان قد وضعه تحت الوسادة . وقال :

- مكائك يا لوين .. لا تتحرك وإلا أطلقت الرصاص .

- عجباً .. من أين وانتك هذه الشجاعة أيها الصديق .

- أهـ . أهذا أنت يا هولمز ؟ .. هل أنت بحاجة إلى .

- نعم . قم .

ومضى به إلى النافذة وقال : انظر .. إلى الناحية الأخرى من البوابة .

ونحن على المائدة .

- أمام الخدم ؟

- لم يكن هناك غير بنتينا و . ولكن لا .. كانت صوفى وهنرييت قد غادرتا

المائدة ، أليس كذلك يا سووان ؟

فكرت مدام دامبرفال لحظة ثم قالت في توكيد :

- هذا صحيح .. لقد انضمنا إلى الأنسة .

سألها هولمز : الأنسة ؟

- المريية . الأنسة أليس ديمون ..

- ألا تتناول هذه الأنسة وجباتها معكم ؟

- كلا ، فهي تتناولها وحدها في غرفتها .

قال والظنون : ومن الذي ألقى بالخطاب المرسل لصديقي في صندوق البريد ؟

أجاب البارون : خادمنا دومينيك ، وهو في خدمتنا منذ عشرين سنة ، وأي بحث في هذه الناحية لن تكون له نتيجة .

وإذا انتهى هولمز من تحقيقه المبدئي استأنز في الانصراف .

وبعد ساعة ، رأى أثناء الطعام صوفى وهنرييت ، ابنتا دامبرفيل ، وهما بنتان جميلتان ، في الثامنة والسادسة من عمريهما . وتحدثوا قليلاً .

ورد هولمز على مجاملات البارون وزوجته في شيء من التجهم . بحيث صمما على التزام الصمت . وقدمت القهوة . واحتسى هولمز قهوته ونهض .

وفي هذه اللحظة دخل خادم ومعه نص رسالة برقية باسم هولمز .

ألا ترى شيئاً ؟

- أنتى لا أرى شيئاً ؟

- بل ترى . هناك ، بجدار البوابة . انظر .. انهما يتحركان . كفى مضيعة للوقت .

وأسرعا يهبطان السلم ، وهما يعتمدان على الدرايزين . وولجا غرفة تؤدى إلى المديقة . ورأيا من خلال الألواح الزجاجية للباب أن الشبحين لا يزالان فى نفس المكان .

وقال هولمز : هذا عجيب . يخيل لى أننى اسمع صوتاً فى البيت .

- فى البيت ؟ .. مستحيل . أن الجميع نيام .

- انصت إذن .

وفى هذه اللحظة انطلق صغير خافت من ناحية البوابة . ورأيا ضوءاً خافتاً ينبعث من داخل البيت . وتمتم هولمز :

- لا ريب أن الزوجين هما اللذان أضاعا النور . فهذه غرفتهما وتقع فوق غرفتنا .

وانطلق صغير آخر ، أشد خفوتاً من الأول . وقال هولمز فى استياء :

- أنتى لا أفهم شيئاً .

صغير ثالث ، مرتفع بعض الشيء ، ومنغم شيئاً ما . واشتدت الجلبة وازدادت وضوحاً . وهمس هولمز :

- يخيل إلى أنها صادرة من البقعة المنبسطة أمام الشرفة .

وأطل برأسه من فتحة النافذة ، ولكنه سرعان ما ارتد وهو يطلق

سبة مختلقة . ونظر واطسون بدوره . كان هناك بالقرب منهما سلم سداً إلى الشرفة . وقال هولمز :

- هناك شخص فى المخذع . وهذا ما سمعناه . أسرع . ولنزق السلم .

ولكن فى هذه اللحظة بالذات تسلل شخص من فوق وهبط إلى أسفل ، ورن السلم . وجرى الرجل الذى يحمله بكل سرعة نحو البوابة ، فى نفس المكان الذى ينتظره فيه شريكاه . واندفع هولمز واطسون . ولحقا به بينما كان يضع السلم أمام الباب . وانطلقت من الناحية الأخرى رصاصتان .

صاح هولمز : هل أصبت .

أجاب واطسون : كلا .

وأسك بالرجل وحاول أن يشك حركته . ولكن الرجل تحول إليه وأمسكه بسدى يديه وأغمد بالأخرى خنجراً فى صدر واطسون . وند عن هذا الأذى ، وترنح ووقع . وصاح هولمز :

- اللعنة ! ... الويل لهم لو أنهم قتلوه .

بمسد واطسون فوق العشب واندفع نحو السلم ... ولكن بعد فوات الأوان . فقد تسلقه الرجل ، وتلقاه زميلاه وهربوا بين الأشجار الضخمة . وصاح هولمز :

- واطسون . واطسون .. الأمر ليس خطيراً ... مجرد جرح بسيط ، أليس كذلك ؟

وانفتحت أبواب البيت فجأة . وأقبل البارون دامبرفال أولاً ، وتبعه الخدم ، بعضهم الشموع . وقال البارون :

- ما الخبر ؟ .. هل أصيب مستر واطسون ؟

عاد هولمز يقول وهو يحاول أن يوهم نفسه :

- لا شيء ... مجرد جرح بسيط .

ولكن الدم كان يسيل بغزارة . والوجه كان مصفراً .

وتحقق الطبيب الذي أقبل بعد عشرين دقيقة أن تصل الخنجر توقف على

بعد أربع مليمترات من القلب وقال :

- أنه محظوظ حقاً . لا بد له من ملازمة الفراش ستة أسابيع . وشهرين

نقاعة .

وإذا اطمان هولمز تمام الاطمئنان عاد إلى البارون في المخدع . في هذه

المرّة لم يخرج اللص صفر اليدين . وإنما تجرأ واستولى على التمثال

الصغير المرصع بالماس ، وعلى عقد الياقوت ، وعلى كل ما استطاع أن

يحشوه جيوبه .

وكانت النافذة لا تزال مفتوحة ، وقطع لوح الزجاج ، وأثبت التحقيق الذي

تم في الصباح الباكر أن السلم الذي استخدم ، أتى به اللص من البيت

الجاري بنائه . وقال مسيو دامبرفيل في شيء من السخرية :

- صفوة القول ، هذه السرقة تكرر دقيق لسرقة الصباح .

- هذا صحيح ، إذا تقبلنا التفسير الذي تبنته العدالة .

- أمازلت لا تتبناه أنت ؟ ألم تقوض السرقة الثانية رأيك الأول .

- بل أنها تؤيده .

- هل هذا معقول . أن أمامك دليل لا يمكن وصفه بأن السطو الذي وقع

الليلة قام به شخص من الخارج ، ولا تزال تصر مع ذلك على أن المصباح

لقد سرقه شخص من الداخل ؟

- شخص يقيم في هذا البيت .

- كيف تفسر إذن ؟

- أنتي لأتسر شيئاً يا سيدي ، وإنما أسجل حادثين لا علاقة بينهما في

الظاهر ، وأدرس كلا منهما على حدة ، وأحاول أن أجد الصلة التي تربط

بينهما .

كان اقتناعه يبدو من العمق ، وطريقة تصرفه مبنية على أسباب قوية

بيد أن البارون لم يسعه إلا أن يحنى رأسه . وقال :

- ليكن . سنخطر البوليس إذن .

صاح الانجليزى على الفور :

- كلا . لا تفعل .. لا أريد الاتصال بهؤلاء السادة إلا إذا احتجت إليهم .

- وإطلاق الرصاص .

- لا أهمية له .

- وصديقك ؟

- إنما صديقي جريح فحسب . اطلب من الطبيب أن يلزم الصمت . وأنا

الكفيل بكل شيء من ناحية البوليس .

ومر يومان دون حادث يذكر ، تابع هولمز فيهما بدقة شديدة ، وكرامة

جريئة ذلك الاعتداء الجريء الذي وقع تحت عينيه ومن غير أن يستطيع له

وقال لها :

.. إن فانت أيضاً تلصقين كلمات على الورق .

أجاب هنرييت وهي فخورة جداً :

.. أجل ... أنني ألصق كلمات بعد أن أقصها .

ومن الذى علمك هذه اللعبة الصغيرة ؟

.. الأنة . مربييتى .. رأيتها تفعل ذلك ... فهي تقطع كلمات من الجرائد

.. تصفها .

.. وماذا تفعل بها ؟

.. نصنع منها برفقيات ورسائل تبعث بها .

عاد شرلوك هولمز إلى غرفة الدراسة وقد أثارته كلمات الطفلة ، وحاول

أن يستنتج منها الاستنتاجات الحتمية .

جرائد ... كان هناك حزمة منها فوق الموقد . فبسطها أمامه . ورأى فعلا

بعض الكلمات وبعض العبارات ناقصة . اقتطعت بعناية فائقة . ولكن كان

بكيه أن يقرأ الكلمات السابقة أو التالية لكي يتحقق من أن تلك الكلمات قد

أقتطعتها هنرييت بالذات من المقص . ولكن قد يكون هناك . بين الجرائد .

حزمة اقتطعت الأنة بالذات بعض كلماتها . ولكن كيف يتأكد ؟

الراح شرلوك يقلب صفحات الكتب المدرسية المكسدة فوق المنضدة في

بحر تفكير . ثم الكتب الأخرى المرصوفة فوق رفوف أحد الدواليب . وأفلتت

من بين شفتيه فجأة صيحة تدل على الفرح . فقد عثر تحت بعض الكتب

والكراسات القديمة على أحد كتب الحروف الأبجدية المصورة . وبدأ له في

إحدى صفحات ذلك الكتاب فراغ . وكانت الصفحة تحتوى على أسماء أيام

دفعاً . وراح يفتش دون ملل أو تعب البيت والحديقة . ويستجوب الخدم .

وتوقف قليلاً فى المطبخ وفى الاستطيل . ورغم أنه لم يهتد إلى شيء ينير له

الطريق فإنه لم يشعر بأى ياس أو إحباط . وراح يحدث نفسه قائلاً : سوف

أجد ما أريد . سوف أجده .. أن الأمر هنا ليس كما كان فى قضية الغادة

الشعراء . فقد كنت أتخطب وأسير نحو غاية لا أعرفها . أما هذه المرة فأتنا

على أرض المعركة بالذات . والعنوا ليس أرسين لويين الذى لا أستطيع لمس

أو رؤيته وإنما هى معركة مع الشريك الذى يقيم ويعيش فى هذا البيت .

فأقل أثر سوف يقودنى إليه .

وكان الأثر الذى يتكلم عنه . والذى يمكنه من إمطاة اللثام عن لغز

المصباح الغامض بتلك العبقرية . ذلك الأثر ساقته إليه الصدفة وحدها .

فى أصيل اليوم الثالث . دخل غرفة تقع فوق المخدع . تتلقى فيها

الطفلتان دروسهما . ووجد هنرييت . صغرى البنيتين . تبحث عن مقص .

وقالت تخاطب هولمز :

.. أننى أقص أنا الأخرى أوراها كلك التى تلقيتها أنت منذ أيام .

.. منذ أيام ؟

.. نعم . أنك تلقيت أثناء العشاء ورقة عليها كلمات . أعنى برفقية .. حسناً .

أننى أصنع مثلها أنا الأخرى .

وخرجت . وما كانت هذه الكلمات لتعنى شيئاً أكثر من أفكار نافهة

لطفلة . وحتى هولمز نفسه أصفى إليها وهو شاردهم . ولكنه راح يجرى

خلف الطفلة فجأة وقد أثارته عبارتها الأخيرة . ولحق بها فى أعلا السلم

الأسبوع . وكانت الأيام كلها موجودة فيما عدا يوم السبت . فقد اقتطع .
وكانت سرقة الصباح قد وقعت يوم السبت .
أحس شرلوك بذلك الانفعال الذي يحس به دائماً ويكل وضوح عندما
يصل إلى عقدة محيرة . لم يكن ذلك الانفعال يخدمه أبداً . وراح يقلب
صفحات الكتاب . وكانت تنتظره مفاجأة في صفحة أخرى .

لماذا ؟
لأننى أعطيتك أشياء ... وقالت أنه لا يجب أن تذكر شيئاً عن
الشخاص الذين نحبهم .
أنت على حق تماماً .

فقد كانت الصفحة تضم الحروف الأنجليزية مطبوعة بالطريقة
الاستهلاكية ، ويتبعها سطر سجلت به الأرقام . وكانت تسعة من تلك الأرقام
والحروف ناقصة فسجلها في مذكرته بالترتيب ، وكان هذا نصها .
ج . ن . ك . و . ١ . ١ . ب . ي . ي . ٧٢٢ .

وتتم : عجيباً ... هذه الحروف والأرقام لا معنى لها تقريباً .
ولكن ، هل يمكن بتغيير وضعها الوصول إلى نتيجة . وراح يحاول ،
ويذل جهداً كبيراً حتى توصل إلى وضع الحروف والأرقام بالترتيب الذي بدا
له معقولاً . وكانت النتيجة كالآتي .

حسنأ . أننى أعطيك هذا على كل حال .
كان منوناً على الورقة رقم مركبة ، وسألها :

أجبنى ايكو ٧٢٢ .
وبهذه النتيجة التي توصل إليها وبكلمة السبت الناقصة ، أدرك أن الموعد
المحدد هو يوم السبت . ولكن ما معنى ٧٢٢ .. لا ريب أنه رقم صندوق
بريد .

من أين أتيت ؟ بهذه الورقة ؟
أنها وقعت من كيس نقودها .
شئ ؟

يوم الأحد ، في الكنيسة ، بينما كانت تخرج بعض النقود لصندوق
التبر .

حسنأ . والآن لا تقولى للآنسة أنك رأيتنى حتى لا تنهرك ثانية .

وكانت هنرييت قد عادت فسأته : أنها لعبة ممتعة ، أليس كذلك .
أجابها : نعم . ولكن أليس معك أوراق أخرى ... أو كلمات مقطوعة
أستطيع أن ألصقها .



ولعب هولمز إلى البارون رأساً واستجوبه عن الأنسة ، فهز كتفيه وقال :
- أليس ديمون ؟ . هل تظن .. هذا مستحيل .
منظ متى وهى تعمل فى خدمتكم ؟

- أوراق كلا . ثم أن الأنسة لن يسرها ذلك ، فقد سبق ونهرتنى .

- منذ سنة فقط . ولكنى لا أعرف شخصاً أكثر منها هدوءاً . ثم أننى أوليها كل تقى .

- وكيف حدث أننى لم أرها بعد ؟

- أنها تغيرت يومين . وما أن عادت اليوم حتى أسرعرت لكى ترعى صديقك فإن لها صفات المرضة . رقيقة . وخدمة .. ويبدو أن مستر واطسون مسرور بها .

قال هولز . ولم يكن قد اهتم بالسؤال عن صديقه : أه .

وفكر لحظة ثم سأل : وهل خرجت صباح يوم الأحد ؟

دعا البارون زوجته وألقى عليها السؤال فاجابت :

- خرجت الأنسة كعادتها لكى تمض إلى الكنيسة . فى الساعة الحادية عشرة مع البنيتين .

- وقبل ذلك ؟

- قبل ذلك . كلا ... ولكنى كنت منزوعة بسبب السرقة ... ومع ذلك

فاننى أتذكر أنها طلبت فى اليوم السابق السماح لها بالخروج يوم الأحد صباحاً لرؤية ابنة عم لها كانت تمر بباريس . ولكنى لا أظنك تشبه فيها .

- طبعاً لا .. ومع ذلك فاننى أود أن أراها .

وصعد إلى غرفة واطسون . كانت هناك امرأة ترتدى زى المرضات . ثوباً من القماش الرمادى . منحنية فوق المريض . وتساعده على الشرب . وعندما تحولت إليه عرف فيها هولز الفتاة التى التقت به أمام محطة الشمال .

لم يدر بينهما أى كلام . وابتسمت اليس ديمون فى هدوء بعينيهما السافيتين الرزنتين . دون أن يبسو عليها أى انزعاج . وأراد الانجليزى أن يتكلم . ولكنه لم ينطق إلا ببضع كلمات لا معنى لها ثم سكت . وعندئذ عادت إلى عملها . وراحت تتحرك فى هدوء تحت بصر هولز المشوه . وحركت بعض الفنانى . وفكت ولفت بعض الضمادات . ونظرت إليه بابتسامتها الصافية من جديد .

دار على عقبيه وهبط . ورأى فى الفناء سيارة البارون فركبها . وأمر السائق أن يذهب به إلى شركة المركبات التى رأى عنوانها فى الورقة التى لفظته الطفلة إياها . ولم يكن السائق دوبريه . الذى كان يسوق السيارة رقم ٨٢٧٩ فى صباح يوم الأحد موجوداً . فأعاد السيارة وانتظر حتى أقبل السائق .

وقال دوبريه أنه أقل فعلاً . من حديقة مونسو . امرأة شابة ترتدى ثياباً جوداً . وتضع على وجهها نقاباً سميكاً وكانت تبدو شديدة الاضطراب .

- وهل كانت تحمل صرة ؟

- نعم صرة طويلة شيئاً ما .

- وأين ذهبت بها ؟

- إلى شارع تيرن . على ناصية ميدان سان فردينان . بقيت هناك عشر دقائق ثم عادت إلى حديقة مونسو .

- هل تعرف البيت الذى مضت إليه ؟

- طبعاً . أتريد أن أمضى بك إليه .

- نعم . ولكن امض بى أولاً إلى رقم ٢٦ برصيف أورفيغر .

وكان من حسن حظه أن وجد المفتش جانيمار في إدارة الأمن ، فقال له :

- هل هناك ما يشغلك يا مسيو جانيمار .

- إذا كان الأمر خاصاً بلويين فإن هناك ما يشغلني .

- الأمر خاص بلويين فعلاً .

- لن أتحرك إذن .

- كيف هذا ؟ هل تتخلى ...

- أنني أتخلى عن المستحيل . لقد تعبت من هذا النضال غير المتكافئ ،

الذي لا يصيبني منه إلا الفشل . سترميني بالجين ، ويكل ما تريد ، ولكنني

لا أحفل . أن لويين أقوى منا ، وليس أمامنا إلا أن نحض رؤوسنا .

- أما أنا فلن أحنى رأسي .

- سوف يرغمك على احناها كما أرغم الكثير في غيرك .

- حسناً . هذا أمر سوف يمتعك كثيراً .

قال جانيمار في سذاجة : هذا صحيح . وما دمت لم تعلق نصيبك من الصفعات فاهلم بنا .

واستقل المركبة . وتوقف السائق بناء على أمرهما قبيل البيت . في الناحية الأخرى من الشارع . أمام مقهى صغير جلسا في شرفتها ، وطلب هولمز من الجرسون أن يأتيه بورقة وقلم وسطر بضع كلمات ثم استدعى الجرسون وقال له :

- أرجو أن تسلم هذه الورقة لبواب البيت المواجه .

وأسرع اليهما البواب . ويعد أن كشف له جانيمار عن هويته كمفتش وليس ، سأل هولمز إذا كانت قد أقبلت امرأة شابة ترتدى ثوباً أسود ، صباح يوم الأحد ، فأجاب :

- نعم . جاءت وصعدت إلى الطابق الثاني .

- وهل تراها كثيراً .

- كلا . ولكنني رأيتها أكثر من مرة منذ بضعة أيام ... كل يوم تقريباً

بذ أسبوعين .

- ويعد يوم الأحد ؟

- جاءت مرة واحدة . وقد أقبلت اليوم .

- كيف هذا ؟ ... هل أقبلت اليوم ؟

- نعم . وهي هنا منذ عشر دقائق . والعربة التي أنت بها تنتظر في

يدان سان فردينان كالعادة .

- ومن الساكن المقيم في الطابق الثاني ؟

- يقم به ساكتان ... الأنسة لا نجيه ، ورجل استأجر غرفتين مفروشتين

بذ شهر باسم مسيو برسيون .

- لماذا تقول باسم برسيون ؟

- ذلك إنه خطر لي أنه اسم مستعار . وزوجتي تقوم بخدمته . وليس بين

نصانه قميصان بنفس الحروف الأولية من هذا الاسم .

- وكيف يعيش ؟

- أوه . أنه يقضى أوقاته خارج البيت تقريباً . ويحدث أن لا يعود إلى

نوع الرجلان بالتهوض . وعرفا على ضوء الفوانيس هيئة لويين . وكان
يقدم على الناحية الأخرى من الميدان . وقال جانيمار :

من تفضل أن تتعقب .

فوطبياً . فهو الصيد الأهم .

سأنتقب أنا الفتاة إذن .

ولم يكن هولمز يريد أن يكشف شيئاً عن القضية لجانيمار . فاسرع
يقول :

كلا . كلا .. أنتى أعرف أين أجد الفتاة فلا تتركنى .

ولما يتعقبان لويين وهما يحتميان بالمارة وبالاكشاك . وكانت مطاردة
سهلة لأن لويين لم يكن يلتفت حوله . ويمشى مسرعاً وهو يعرج بساقه
اليسرى عرجاً خفيفاً يكاد لا يلحظ . وقال جانيمار :

أنه يتظاهر بالعرج ... أه . لو وقعت فى الطريق على رجلين أو ثلاثة من
رجال الشرطة لأطبقنا عليه . فانى أخشى أن نفقد أثره .

ولكن لم يظهر أى أحد من رجال الشرطة . وإذا بلغا بوابة الاستحكامات
الفرنسية لم يعد هناك أى أمل فى لقاء أى واحد منهم . وقال هولمز :

للفرنق الآن ... فقد أصبح المكان مكشوفاً .

وكانا قد بلغا شارع فيكتور هوجو . فمشى كل منهما على رصيف .
ولما يتقدمان محتميين بالأشجار . وظل على هذه الحال نحو عشرين
دقيقة . إلى أن انعطف لويين يساراً وراح يمشى بمحاذاة نهر السين .

البيت ثلاثة أيام متوالية .

وهل عاد إلى البيت مساء يوم السبت ؟

مساء يوم السبت ؟ أه . نعم . جاء يوم السبت . ولم يخرج بعد ذلك .

وأى نوع من الرجال هو ؟

الواقع أنتى لا أدرى ماذا أقول .. فهو متغير .. أحياناً طويل القامة .
وأحياناً قصيرها . وأحياناً بدنياً . وأحياناً نحيفاً .. تارة أسمر . وأخرى
أشقر . حتى ليخيل الى فى كل مرة أنتى لا أعرفه .

تبادل جانيمار وهولمز النظر . وتمتم مفتش البوليس .

أه هو . أنه هو تماماً .

وأحس المفتش العجوز بشيء من اللبلة . وتوترت قبضتاه فى انفعال .
ورغم أن هولمز كان أكثر منه هدوءاً فقد أحس بانقباض فى صدره . وقال
اليواب فجأة :

أه ... ها هي المرأة الشابة .

وظهرت الأنسة على عتبة الباب فعلاً . وعبرت الميدان .

وهي هو مسيو بريسون .

مسيو بريسون .. ولكن أيهما .

ذلك الذى يحمل صرة تحت ابطه .

ولكنه غير مهتم بالفتاة . فهي تعود إلى المركبة وحدها .

أه ... أنتى لم أرهما معا أبداً .

. واحد ضد واحد ... سيكون الصراع غير متكافئ .

. ليس في استطاعتى اقتحام مسكنه مع ذلك ، فلا حق لي في ذلك ،
خصوصاً في الليل .

مز هولز كتفيه وقال : عندما تلقى القبض على لوبين فلن يلومك أحد عن
شرف القبض عليه . ثم أن الأمر لن يتجاوز دق الجرس . وسنرى ما سوف
يقع بعد ذلك .

وصعدا . وكان أمامهما ، على البسطة ، باب إلى اليسار ، ودق جانيمار
الجرس . ولم يرد عليه أحد . فدق مرة أخرى . وإذا لم يتلق رداً كذلك ، قال
هولز :

. هلم بنا ندخل .

ومع ذلك فقد بقيا مكانهما لا يتحركان ، مترددين . فقد اشفقا من
الإقدام على العمل ، وبدأ لهما فجأة أن ارسين لوبين قريب منهما ، خلف
باب هش يمكن تحطيمه بقبضة يد واحدة . وكان كل منهما يعرف لوبين
والاعية الشيطانية ، بحيث لا يمكن أن يسمح لنفسه بالوقوع في الفخ بمثل
هذه البساطة .

وسرت الرعشة في بدن كل منهما ، فقد تناهى إليهما ، من الجانب الآخر
الباب ، صوتاً خافتاً قطع حبل الصمت ، وتأكدا أنه واقف خلف الباب
تصنت . ونظر جانيمار إلى هولز بركن عينه . كأنه يسأله الرأي ، ثم هوى
بقبضته على الباب فسمعا صوت أقدام في الداخل لا يحاول صاحبها
الهروب ، ودق جانيمار على الباب مرة أخرى ولكن هولز انقض عليه بكتفه
في حزم وعنف . واندفع كل منهما إلى الداخل . ولكنهما توقفا على الفور ،
لقد نوت في الغرفة المجاورة رصاصة تبعثها أخرى ، ثم صوت جسد يقع .

وهناك رأيا لوبين يهبط إلى حافة النهر ، ويقف بضع دقائق دون أن يتمكن
من تمييز حركاته ، ثم عاد أراجيه وصعد إلى الشاطئ ، فالتصقا بأحد
أعمدة النور . ومر لوبين بجوارهما ، ولم تكن الصرة معه .

وما أن ابتعد لوبين حتى برز رجل من ظل أحد البيوت ، وتسلسل بين
الأشجار . وقال هولز في صوت خافت :

. يبدو لي أنه يتعقبه هو الآخر .

وبدأت المطاردة من جديد . ولكن في شيء من التعقيد بسبب ذلك الرجل .
وعاد لوبين من نفس الطريق إلى بيت ميدان سان فردينان .

واقترب جانيمار من البواب وهو يوشك أن يغلق الباب وقال له :

. أنك رأيته ، أليس كذلك ؟

. نعم . وقد صعد السلم ، وأغلق باب مسكنه بالمزلاج .

. ألا يوجد معه أحد ؟

. لا أحد ، ولا خادم . وهو لا يتناول طعامه هنا أبداً .

. وهل هناك سلم للخدم ؟

. كلا .

وعندئذ انثنى جانيمار إلى هولز وقال له :

. ان أبسط شيء هو أن أنتظر أنا بجوار باب لوبين بينما تمضي أنت

إلى معاون البوليس بشارع ديمور . سأعطيك رسالة له :

اعترض هولز قائلاً : وإذا هرب أثناء ذلك .

. ولكني سأبقي بجوار الباب .

أرى هولمز إلى فراشه وهو عكر المزاج . وعندما استيقظ تلقى برقية هذا
سها :
« يتشرف ارسين لويين بإبلاغكم بموته المأساوي في شخص السيد
ريسون ، ويرجوكم حضور جنازته التي ستشيع على نفقة الدولة يوم
الخميس ٢٥ يونيو » .

وعندما دخلا رأيا الرجل ممددا ووجهه إلى رخام المدفأة . وتشنح جسده
ولم يلبث أن وقع المسدس من يده . فانحنى جانيمار وأدار وجهه .
كان الدم يغطيه كله . وهتف هولمز يقول :
- يا الهى ! ... أنه ليس هو .
- وكيف عرفت ذلك .. أنك لم تفحصه بعد .
زمر الانجليزى قائلا : وهل تظن أن ارسين لويين بالرجل الذى ينتحر .
- ومع ذلك فقد خيل اليئا أنه هو ، وهو بالخارج .
- خيل اليئا لأننا أردنا ذلك ، فإن ذلك الرجل يسيطر على أفكارنا .
- إذن فهو أحد شركائه .
- أن شركاء ارسين لويين لا ينتحرون .
- من هو إذن ؟

وفتشا الجثة . وجد هولمز فى أحد جيوبها محفظة فارغة . ووجد جانيمار
فى جيب آخر بضع قطع من النقود . ولم يجدا على ثيابه أى أثر أو دليل .
ولم يعثرا فى حقائبه على شىء غير الثياب . وعلى بعض الجرائد فوق
المدفأة ، بسطها جانيمار ، وكانت كلها تتكلم عن سرقة المصباح .
وانصرفا بعد ساعة وهما لا يعرفان شيئا عن الرجل الذى أرغمه تدخلهما
على الانتحار .

من هو ؟ ولماذا انتحر ؟ .. وما علاقته بالمصباح المسروق . ومن الرجل
الذى تعقبه فى الطريق ؟ .. أسئلة كلها معقدة وغامضة .

ديمون ، وهي ليست بالذئ الذي يمكنه أن يتصدى لي .

بظلت الأنسة في هذه اللحظة ، وإذ رأت هولمز يلوح بيديه قالت له في رفق :

سوف أزجرك يا مسيو هولمز إذا ايقظت مريضى ، فليس من الخير أن تتأيقه ، وأوامر الطبيب صارمة وتقتضى الهدوء التام .

حنجها نون أن ينطق وقد أدهشه ، كما أدهشه في اليوم الأول ، هوذا العجيب . وقالت :

لماذا تخرجنى هكذا يا مسيو هولمز ؟ لا شىء ؟ ... بل هناك سبب ، فانه يبدو عليك دائماً أنك تخفى شيئاً فى صدرك ، فما هو . أجبنى ، أريوك .

أقلت عليه كل هذه الأسئلة بمنتهى الصراحة ، ويعنيين برئيتين ، ولم مبتسم ، ويديها المعقودين فوق صدرها المنحنى إلى الأمام قليلاً ، وبراءة بحيث أن الانجليزى أحس بالغضب ، فاقترب منها وقال فى صوت خافت :

انتحر مسيو بريسون مساء أمس .

كررت قوله نون أن تفهم كما يبدو :

انتحر بريسون مساء أمس ؟

لم يظهر على وجهها أى توتر ، ولا أى شىء يدل على أنها تبذل أى جهد لكي تكذب ، فعاد يقول فى غضب :

سر المصباح

٥

قال هولمز لصديقه واطسون وهو يلوح له ببرقية ارسين لوبيين :

- أن ما يضايقنى فى هذه المغامرة هو أحساسى الدائم بأن عين هذا الشيطان تلازمنى ، فلا تفلت منه أقل فكرة من أفكارى ، وأشعر بأننى أقوم بدور الممثل طبقاً لسيناريو دقيق . هل تفهم يا واطسون ؟

ومن المؤكد أن واطسون كان قميناً بأن يفهم لو أنه لم يستغرق فى نوم عميق لرجل حرارته ما بين الأربعين والواحدة والأربعين درجة . ولكن سواء سمع أو لم يسمع فلم يبد هولمز أى اهتمام وراح يقول :

- يجب أن أستعين بكل جهدى ومواهبى لكي لا أشعر بأى أحباط . ولحسن الحظ هذه الدعابات الصغيرة كأنها وخزات دبوس تعيد إلى نشاطى وأقول لنفسى : فليلهو كما يشاء فانه سوف يقع فى النهاية . فهو بيرقيته الأولى لى ، ويحدث هنرييت معى كشف لى عن سر اتصاله بأليس ديمون . وأنا وجانيمار متواعدان على اللقاء على شاطئى ، السين ، فى نفس المكان الذى ألقى فيه بريسون بالصرة التى كانت معه . وسنعرف عندئذ كل شىء عن الدور الذى قام به فى هذه المغامرة . أما الباقي فهو بينى وبين أليس

- كنت تعلمين إذن ، وإلا لبدت عليك الدهشة على الأقل . أه .. أنك أقوى مما كنت أظن . ولكن لماذا تتكلمين .

وأمسك بكتاب الصور الذي كان قد ألقاه فوق المنضدة المجاورة ، وفتحه عند الصفحة المقطعة وقال :

- هل يمكنك أن تذكرى لى كيف أرتب هذه الحروف التى تنقص هنا لكى أعرف المضمون الصحيح الذى أرسلته إلى بريسون قبل أن يسرق المصباح بأربعة أيام ؟

رددت كلماته فى ببطء ، كما لو كانت تستخلص منها معناها ، فقال فى إصرار :

- نعم . هذه هى الحروف المستخدمة ، على هذه الورقة ، ماذا قلت لبريسون ؟

- الحروف المستخدمة ؟ ... ماذا قلت لبريسون ؟ .

وفجأة انفجرت ضاحكة وقالت :

- أه . فهمت ، فإنا شريكة فى السرقة . هناك مسيو بريسون الذى سرق المصباح وانتحر ، وأنا صديقة ذلك السيد . أه .. أن هذا لمضحك !

- من الذى زوّته إذن مساء أمس فى الطابق الثانى من البيت الذى يقع فى شارع دى تيرن .

- من ؟ . اننى ذهبت لزيارة الأنسة لانجيه ، صانعة القبعات ، أتكون هى ومسيو بريسون شخص واحد .

ورغم كل ذلك ظل الشك قائماً لدى هولمز ، فان المرء يستطيع أن يتظاهر بالخوف أو بالمرح أو بالقلق أو بكل المشاعر ، ولكنه لا يستطيع التظاهر

بعدم الاكتراث أو بالضحكة السعيدة اللامبالية . ومع ذلك فقد عاد يقول :

- كلمة أخيرة . لماذا التقيت بى فى تلك الليلة ، فى محطة الشمال ؟ ولماذا أرسلت إلى أن أسرع بالعودة نون أن أهتم بهذه السرقة .

أجابته وهى لا تزال تضحك بطريقة طبيعية :

- أه ... أنت رجل فضولى جداً يا مسيو هولمز . وعقاباً لك لن تعرف شيئاً ، وفوق ذلك سوف ترعى المريض ريثما أمضى إلى الصيدلية لاحتضار أدوية أمر بها الطبيب .

وخرجت ، وتركت هولمز وحده مع المريض فتمتم :

- أنها مكرت بى . لم استطع الحصول منها على شيء . بيد أنى كشفت نفسى فقد عرفت الآن قصة الكتاب ، وأراهن أن لويين سيعرف ذلك قبل ساعة . بل الآن فوراً .. وما الأدوية التى أمر بها الطبيب الا خدعة .

وأسرع بالخروج إلى الشارع ، ورأى الأنسة تدخل صيدلية . وخرجت بعد عشر دقائق ومعها بعض القناني وزجاجة ملفوفة فى ورق أبيض . ولكن بينما كانت تعود اعترضها رجل كان يتبعها ، وقبعتها فى يده فى إحترام ياد كما لو يطلب منها صدقة . وتوقفت الفتاة لحظة وأعطته الصدقة ثم عاودت السير . وقال الانجليزى يحدث نفسه : أنها كلمته .

ولكنه لم يكن على يقين من ذلك . ومع ذلك فقد غير خطته وترك الفتاة وانطلق خلف المتسول المزيف .

ووصل إلى ميدان سان فردينان . وراح الرجل يحوم حول بيت بريسون ، ويرفع عينيه من وقت لآخر إلى الطابق الثانى ، ويراقب الناس الذين يدخلون البيت .

في هده . وتعقبه هولز وجانيمار . واقترب هذا الأخير منه تقريباً . بحيث
لمس هولز بالخوف وقال :

إذا التفت فسوف ينكشف أمرنا .
أنه لن يلتفت .

وما أدراك ؟

أنه شريك لأرسين لوبيين . وبما أن شريكاً للوبيين يمشى هكذا ويداه في
يبه فهذا يثبت أنه يعرف أن هناك من يتبعه ، وأنه لا يخشى شيئاً .
ومع ذلك فنحن قريبين منه جداً .

وذلك حتى لا يفلت من بين أيدينا قبل دقيقة ، فإنه واثق جداً من نفسه .
ولكن . أنك تشير أعصابي . أنظر هناك ، عند باب هذا المقهى .
شرطيان من راكبي الدراجات . إذا قررت اللجوء إليهما فانتى اتسائل كيف
يسك الأفلات منا .

بينو أن الرجل لا يبالي بهذا الاحتمال ، فهو نفسه يمضى إليهما .

هت جانيمار : يا للشيطان ! ... أنه جريء .

والواقع أن الرجل تقدم نحو الشرطيين عندما هما بركوب دراجتيهما ،
وقال لهما شيئاً ، ثم وثب فجأة فوق دراجة ثالثة ، مسندة إلى جدار المقهى ،
وأسرع بالابتعاد مع الشرطيين .

وفهقه الانجليزي وقال : ما رأيك الآن ؟ ألم أتوقع ذلك . لقد هرب ، ومع
من ؟ مع شرطيين .. أه ... أن لوبيين هذا جريء؟ حقاً ، ولا يخاف شيئاً
حتى أنه ليرشو رجال الشرطة ، ويستعين بهم .

وبعد ساعة ، استقل الرجل الترام المنطلق إلى نويي ، وصعد هولز بدوره
وجلس بجوار رجل تحجب وجهه الصفحات المفتوحة لجريدة . وهبطت
الصحيفة عند الاستحکامات ، ورأى هولز عندئذ أنه جانيمار . وهمس له
هذا الأخير في اذنه وهو يشير إلى الرجل :

- هذا هو رجل الأمس الذي كان يتبع بريسون ، وراح يحوم حول البيت
منذ ساعة .

سأله هولز : هل من جديد عن بريسون ؟

- جاءت رسالة صباح اليوم .

- صباح اليوم . إذن فقد ألقيت في صندوق البريد أمس قبل أن يعرف
الراسل نبأ موت بريسون .

- بالذات . وهي بين يدي قاضي التحقيق . ولكنني أتذكر مضمونها .

« أنه لا يقبل أى اتفاق . يريد كل شيء .. الشيء الأول ، وكذلك أشياء
المرّة الثانية ، وإلا فسوف يتصرف .

واردف جانيمار : وهي بغير توقيع . ولن نفيدنا في شيء كما ترى .

- أنتى لا أتفق معك في هذا الرأي يا مسيو جانيمار ، فإن كلمات تلك
الرسالة تبدو لي على العكس ذات أهمية كبرى .

- ولماذا باله ؟

أجاب هولز في هده :

- لأن معناها واضح بالنسبة لي .

وتوقف الترام في شارع شانتون ، نهاية الخط ، وهبط الرجل منه وسار

وأخرج مسدسه من جيبه ، وأحس برغبة ضارية فى أن يطلق الرصاص
وأن ينتهى من كل شىء . ولكن مثل هذا العمل كان ضد طبيعته . وقال
بحدث نفسه :

فلينفض وليدافع عن نفسه ... وإلا فالويل له .. لحظة أخرى وأطلق
البار .

ولكنه سمع وقع خطوات خلفه فاستدار ، ورأى جانيمار يأتى نحوه ،
وبرفته بعض رجال الشرطة ، فغير رأيه ووثب إلى القارب فانقطع الحبل
الذى يربطه إلى الشاطئ ، نتيجة لقوة الوثبة . ووقع هولمز فوق الرجل وأمسك
بخطاه . وتدرج الاثنان فى قاع القارب . وصاح لويين وهو يقاومه :
رعد ؟ ... ما الذى ترمى إليه ؟ . ماذا يحدث لو تغلب أحدنا على الآخر ؟ لن
نتقدم على الإطلاق ، فلن تعرف ماذا تفعل بي ، ولن أعرف ماذا أفعل بك .
سبقى فى قاع المركب كخبيبين .

وانزلق المجدافان فى الماء ، وانساق القارب مع التيار . وارتفعت
الصيحات بطول الشاطئ . واستنورد لويين :

ما هذه الحماسة ؟ . هل فقدت رشداً ؟ .. وفى سنك هذه ... ما
لنعم هذا ! وأفلح فى التخلص ، فأعْتَاط هولمز ، ودس يده فى جيبه فى
نمزم وأصرار ، ولكنه لم يجد المسدس ، فقد سرقه لويين منه . وجثا عندئذ
على ركبته وحاول الإمساك بأحد المجدافين ، ولكنه لم يفلح . فقال لويين :

-أرأيت ؟ . أن القدر نفسه مع لويين .. والتيار يحالفنى .

ذلك أن القارب راح يبتعد عن الشاطئ ، فعلاً .

وصوب بعضهم مسدسه فخفض رأسه وانطلقت رصاصة واستقرت فى

صاح جانيمار فى استياء : إذن ، ماذا تفعل ؟ . من السهل أن تضحك .
- لا تغضب . سوف ننتقم . ولكن لا بد لنا الآن من نجدة .

- أن فولتغان ينتظرنى فى آخر شارع فولتغاي .

- امض إليه إذن وعد إلى معي .

وابتعد جانيمار . وتتبع هولمز آثار الدراجات ، وحملته بعد قليل إلى نفس
الشاطئ ، وكان عبارة عن لسان صغير من الأرض يمتد نحو نهر السن ،
حيث رأى قارباً قديماً على الشاطئ ، يجلس فيه صياد .

وقف بريسون بالأس فى ذلك المكان وألقى بالصرورة فى الماء . وهبط
هولمز وقد رأى أن من السهل أن يجد الصرورة ، هذا ما لم يكن الرجال
الثلاثة قد سبقوه ..

وقال يحدث نفسه :

- كلا ، كلا . أنهم لم يجنوا متسعاً من الوقت ، فلم تمض أكثر من ربع
ساعة . ومع ذلك ، فلماذا مروا من هنا . واقترب من الصياد وقال له :

- ألم تر ثلاثة رجال بندراجاتهم ؟

وضع الصياد سنارته تحت ابطه ، وأخرج مفكرة من جيبه كتب شيئاً
على ورقة منها ثم انتزعها وناولها لهولمز فقرأ فيها ما يلى :

ج ن ك و ١١ ب ب ٧٣٢

وكانت الشمس ترسل أشعتها الحامية على النهر . وعاد
الصياد فأمسك بصنارته وألقى بها فى النهر ، تحمى رأسه من أشعة
الشمس قبعة عريضة الحوافى . وقد ألقى بجاكته بجواره ، ومضت
دقيقة ، ساد فيها صمت ثقيل . وقال هولمز يحدث نفسه : أنه هو .

الزملاء للقاء هنا ، واعترف أن أصدقائي عندما أخبروني بقدمك لم أشعر
بأية دهشة ، وأجروا فاقول أنني كنت أعرف خطواتك ، خطوة خطوة ،
والامر بسيط ، فما من شيء يحدث في شارع موريللو حتى تأتيني مكالمات
تليفونية أعرف منها كل شيء .

وكان الماء قد تسرب إلى القارب ، من مكان اللوح المنزوع فقال :

عجياً .. لا أترى ماذا فعلت ، فهل أنت خائف .

هز الانجليزي كتفيه . وعاد لويين يقول :

ولعلك تفهم أنني في هذه الظروف ، وأنا أعرف مقدماً ، أنك تتشدد
النضال ، بقدر ما أنيدل أنا جهدي لتفاديه ، كان يروق لي بالأحرى أن
أخوض معك معركة كل خيوطها في يدي . وأردت أن أتبع لمقابلتنا كل
البريق الممكن حتى يعرف العالم أجمع هزيمتك فلا يلجأ إليك أحد بعد ذلك
يا استاذي العزيز ، كما لجأ إليك البارون دامبرفال والكونتس كروزون .

وأفسك مرة أخرى ، واستخدم يديه وهي نصف مطبقتين ، كما لو كانتا
نظارة ونظر إلى الشاطئ :

أه . أنهم استقدموا زورقاً كبيراً . بارجة حربية حقاً . وما هم يجدفون
بكراسة ، وسيصلون بعد خمس دقائق ، وأكون أنا من الهالكين . إليك
صيحة يا مسيو هولمز . ماذا لو تنقض على وتقيديني وتقدمني إلى عدالة
شيء . هل يروق لك هذا البرنامج ؟ .. هذا ما لم تغرق معا بطبيعة الحال .
يايلى أمام كل منا عندئذٍ إلا أن يحرر وصيته ، فما رأيك ؟

والتي بصراهما ، وادرك هولمز عندئذ معنى العمل الذي أقدم عليه لويين .
فأجاب قاع القارب .

الماء على كيبث من القارب . وقال لويين :

هذا عمل غير سليم يا جانيمار ، فإن القانون لا يخولك إطلاق النار إلا
في حالة الدفاع عن النفس .

وأخرج مسدساً ، وأطلقه دون أن يصوب . ورفع المفتش يده إلى قبعته ،
فإذا بالرصاص قد ثقيتها . وقال لويين :

ما رأيك يا جانيمار ؟ هذا المسدس أنتجته شركة خبيثة في صناعة
المسدسات ، أنه مسدس صديقي العزيز الاستاذ شرلوك هولمز .

وقذف بالمسدس بكل قوته عند قدمي جانيمار ، ثم تحول إلى هولمز وقال
له :

أنت في مكان الصدارة يا استاذ . ولا أظنك ترضى أن تتخلى عنه بكل
ذهب العالم . ذلك أنك في الصف الأول من المقاعد ، ولكن ، أولاً وقبل كل
شيء . التمهيد . وبعد ذلك سوف نقفز مرة واحدة إلى الفصل الخامس ، وهو
إما اللقاء القبض على ارسين لويين أو هروبه . وعليه فعندي سؤال أرجو أن
ترد عليه يا استاذ بلا أو بنعم . ألا تريد أن تتخلى عن هذه القضية ؟ مازال
هناك وقت وأستطيع إصلاح ما أفسدته أنت . أما إذا لم تقبل الآن فلن
أستطيع . فهل توافق ؟

كلا .

انحنى لويين عندئذ وانتزع لوحاً من قاع المركب . وقضى يضع ثوان في
عمل لم يستطع الآخر أن يفهم طبيعته . ثم اعتدل لويين وقال :

أظن يا استاذ أننا أتينا إلى هذا الشاطئ . لنفس الغرض ، وهو
استعارة الصرة التي تخلص بريسون منها . وكنت قد تواعدت مع بعض

وارتفع الماء حتى كعبي حذاءيهما ، وغطى أقدامهما . ولكن لم يبد أي منهما أدنى حركة . وتجاوز عرقوبيهما . وأخرج الانجليزى كيس النخان من جيبه ولف نفسه - بجارة وأشعلها .

- وأرجو يا أستاذى العزيز أن لا ترى إلا اعترافى المتواضع بعجزى أمامك . وانحنائى أمامك أن هو إلا قبولاً للمعارك الوحيدة التى أتأكد فيها من أن النصر سيكون بجانبى . وهذا اعتراف منى بأن هولمز هو العدو الوحيد الذى أخشاه . وإنى أقر بقلقى وخوفى طالما لا يبتعد عن طريقى . هذا هو ما أردت قوله لك يا أستاذى العزيز ، ما دام القدر قد شرفنى وأتاح لى فرصة الحديث معك . ولست نادماً إلا على شىء واحد وهو أن حديثنا هذا يدور ونحن نعرض أقدامنا لحمام من الماء .. بل ماذا أقول .. اعرض نصف جسمينا لحمام من الماء .

والواقع أن الماء كان قد بلغ سطح المقعد الذى يجلسان فوقه ، وراح القارب يزداد غوصاً .

وظل هولمز على هدوئه والسيجارة بين شفطيه وهو ينظر إلى السماء متأملاً . لم يرض أن تصدر منه أية بادرة من الانزعاج أو الاضطراب أمام ذلك الرجل الذى تحيط به الأخطار من كل جانب ، ويحاصره الناس ويطارده رهط من رجال الشرطة ويحتفظ رغم ذلك بكل هدوئه ومرحه .

أه . ولكن ماذا يحاول أى منهما أن يقول . وكيف ينفعل كل منهما بمثل هذه التفاهات أفلا يفارق بعض الناس كل يوم فى النهر .. وهل يستحق ذلك كل هذا الاهتمام ؟ كان أحدهما يثرثر والآخر يتأمل . وكل منهما يخفى ، تحت نفس قناع اللامبالاة وعدم الاكتراث الصدمة الكبيرة لكبريائهما .

وقال لوين :

- المهم أن نعرف هل ستغرق قبل أو بعد وصول أبطال العدالة . لأننا سوف نغرق لا محالة ، وهذه هى الساعة الحاسمة لتحرير الوصية . وأنا أوصى بكل ثروتى لصديقى العزيز شرلوك هولمز ... يا الهى ! أن الزورق يقترب بسرعة بحيث أننى إذا أقلت من الغرق قلن أنجو من ديوزى ورجاله على الضفة اليسرى ولا من جايمار على الضفة اليمنى .

وانشق الماء فى هذه اللحظة ، ودار القارب حول نفسه . واضطر هولمز أن يتشبث بحلقة المجاديف ، وقال لوين :

أرجوك يا أستاذ أن تخلع جاكيتك فسوف يكون من السهل عليك أن تسبح حتى الشاطئ عندئذ ... لا تريد ... ساكيس أنا إذن جاكيتى .

قال هولمز عندئذ وقد خرج عن صمته :

- أنك تتكلم كثيراً يا مسيو لوين . وقد قدمت لى نون أن تدرى المعلومات التى كنت أبحث عنها .

كيف هذا ؟ كنت تبحث عن معلومات ولم تقل لى ذلك .

- لست بحاجة إلى أحد . بعد ثلاث ساعات سأمضى إلى مسيو ومدام بايرفال وأذكر لهما مفتاح السر . وهو ..

ولم يفرغ من عبارته ، فقد غرق القارب فجأة وجذبهما معه . ولكنه لم يبد أن طفا غير أنه كان مقلوباً . وارتفعت الصيحات على الشاطئ . ثم نيم صمت مقلق . وفجأة صيحات أخرى تدل على الدهشة فقد ظهر أحد الغرقتين .

كان شرلوك هولمز . والقوا إليه بحبل من الزورق . وبينما كانوا يرفعونه لسطحه قال صوت خلفه :

- حيث أن الحديث الذي سيصور بيننا يا سيدي البارون حاسم وخطير
فانتى أرجو أن تكون الأنسة ديمون موجودة معنا .
- هل لا بد .

- أرجو أن تتذرع بقليل من الصبر يا سيدي . أن الحقيقة ستظهر بكل
وضوح من الوقائع التي ساذكرها أمامكم بكل دقة .
- ليكن . احضرى أليس ديمون يا سوزان .

نهضت مدام دامبرفال ، وعادت على الفور وبرفقتها أليس ديمون . وكانت
هذه الأخيرة شاحبة اللون تقريباً ، على غير العادة . ووقفت بجوار المنضدة
بين أن تسأل عن سبب استدعائها . وقال هولمز عندئذ :

- بعد أيام كثيرة من التحقيق يا سيدي ، ورغم أن بعض الأحداث قد
غيرت نظرتي في وقت ما ، فانتى مازلت أقول لكما أن المصباح قد سرقه
شخص من البيت .

- ما اسمه يا سيدي .

- أنتى أعرفه

- والأدلة ؟

- أن ما لدى من الأدلة تكفى لادانته .

- ولكن لا يكفينى أن يدان . يجب أن يعيد اليها ..

- الصباح ؟ . والأشياء الأخرى ؟ . أنها معى يا سيدي .

بنت الدهشة على البارون وزوجته ، فى حين راح هولمز يذكر كيف عثر
لر كتاب الحروف الأبجدية ثم رحلة بريسون إلى الشاطىء ، وثم انتحاره .

- مفتاح السر أياها الاستاذ العزيز ... من المؤكد أنك عرفت . بل أنتى
لأعجب كيف لم تعرفه قبل ذلك . ولكن .. فيم سيخدمك ذلك ؟ . أن
فى استخدامك له وزيمتك بالذات .

كان لويين جالساً على ظهر القارب فى هدوء تام . واستطرد يقول :

- افهمنى جيداً يا استاذى العزيز . لن تستطيع شيئاً .. لن تستطيع
شيئاً على الإطلاق . ستجد نفسك فى موقف يرثى له .

وصوب فولنغان مسدسه نحوه وقال :

- سلم نفسك يا لويين .

- أنت رجل غير مهذب أياها الرقيب فولنغان .. قاطعتنى فى منتصف
عبارة . كنت أقول ..

اطلق فولنغان الرصاص ، فترنح لويين ، وتشبث بحطام القارب لحظة ،
ثم اختفى .

كانت الساعة الثالثة عندما وقعت هذه الأحداث . وفى تمام الساعة
السادسة دخل هولمز مخدع شارع موريللو ، مرتدياً بنظولاً قصيراً جداً
وجاكيت ضيقة جداً ، استعارهما من صاحب حانة فى نويى ، وطلب مقابلة
مسيو ومدام دامبرفال .

ووجداه يتمشى جينة وذهاباً . وقال عندما رأهما :

- هل الأنسة هنا ؟

- نعم ، فى الحديقة ، مع البنتين .

وغرق القارب واختفاء لويين ، وعندما فرغ ، قال البارون في صوت خافت :
- لا يبقى عليك الآن إلا أن تذكر لنا اسم الجاني ، فمن هو ؟
- هو الشخص الذي انتزع الحروف من هذا الكتاب ، والذي اتصل
بارسين لويين بهذه الطريقة .

- وكيف عرفت أن ارسين لويين هو الذي اتصل بذلك الشخص ؟
- عرفت ذلك من ارسين لويين نفسه .

ويسط له قصاصة مبنلة من الورق ، هي التي كان لويين قد اعطاها له
وقال :

- لاحظ يا سيدى أن الحروف التي بها هي نفس الحروف المقطعة من
الكتاب . ويعد معالجتها استطعت أن أكون هاتين الكلمتين : اجب اكون ،
وقد زاد لويين إليها بعض الحروف بحيث أصبحت العبارة : اجبني ايكو دي
فرانس ، وهذه الجريدة هي لسان حال ارسين لويين ، كما هو معروف . وقد
مضيت إلى إدارتها وهناك اكتشفت قصة العلاقة بين ارسين لويين .
وشريكه .

ووضع هولز سبع جرائد مختلفة من جريدة ايكو دي فرانسى مفتوحة
كلها على الصفحة الرابعة حيث تنشر الاعلانات المبوية ، وأشار إلى سبعة
سطور هذا نصها :

١- ارس . سيدة تطلب حمايتك ، ٥٤٠ .

٢- ٥٤٠ .. انتظر الايضاحات .

٣- ١ . ل . تحت رح . عو .. ضائعة .

٤- ٥٤٠ اكتبى العنوان . سأقوم بتحقيق ..

٥- ١ . ل . ١٨ شارع موريللو .

٦- ٥٤٠ . الحديقة ، الساعة الثالثة ... زهور بنفسج .

٧- ٢٢٧ موافق السبت . ساكون صباح الأحد . الحديقة . صاح مستر
دامبرفال : وهل تسمى كل هذا قصة مفصلة ؟

- نعم ، وبشىء قليل من الاهتمام سوف تشاركنى الرأى . فبادىء ذى
بدء ، سيدة أشارت إلى نفسها برقم ٥٤٠ تطلب حماية ارسين لويين . ورد
عليها لويين وطلب منها أن توضح الأمر ، فأجابته بأنها تحت سيطرة عو ،
هو بريسون نون أى شك ، وأنها ضائعة إذا لم يخف لمساعدتها . ولويين
حريص ولا يريد التورط مع امرأة غريبة فيطلب عنوانها ويقترح إجراء
تحقيق . وتتردد السيدة أربعة أيام ، ويمكنك أن تراجع التواريخ . وأخيراً
رأه تتعجلها الأحداث ، وتحاصرهما تهديدات بريسون تذكر له اسم شارع
موريللو . وفى اليوم التالي يذكر لها ارسين لويين أنه سيكون فى حديقة
مونسو فى الساعة الثالثة ، ويطلب من المرأة الغريبة أن تضع باقة من زهور
البنفسج كوسيلة للتعارف . ويعد ذلك ، انقطعت المراسلات ثمانية أيام ، إذ
لم تعد هناك حاجة لارسين لويين و للسيدة لكى يتراسلا عن طريق الجريدة
أنهما إما كانا يلتقيان ، وإما كانا يتراسلان مباشرة . وديرت خطة ،
أرضاء لمطالبات بريسون تقوم السيدة بسرقة المصباح ويبقى بعد ذلك
نسيب اليوم . وقد دفع الحرص السيدة إلى أن تقوم بمراسلاتها عن طريق
مكان مقتطعة وتلصقها ، وتحدد يوم السبت وتضيف اجبني ايكو ٢٢٧ .
ورد لويين بأنه موافق وبأنه سيكون فى انتظارها فى حديقة مونسو صباح
الأحد . وتقع السرقة صباح يوم الأحد .

قال البارون : الواقع أن كل ما ذكرته يتطابق تماماً ، والقصة هكذا قد اكتملت .

واستطرد هولز يقول :

- تقع السرقة إذن ، وتلتقى السيدة بلويين وتخبره بما فعلت وتمضى بالمصباح الى بريسون . وتقع الأمور عندئذ كما توقع لويين فقد اتخذت العدالة بالنافذة المفتوحة وبالثقوب الأربعة على الأرض وبالخدشين على الشرفة واقتنعت بنظرية السرقة عن طريق السطو . واطمأنت السيدة .

قال البارون : أنتى مقتنع بهذا التفسير المنطقي . ولكن السرقة الثانية .

- تسببت السرقة الأولى فى السرقة الثانية . فقد ذكرت الجرائد كيف اختفى المصباح . وخطر للبعض إعادة تمثيلية السطو والاستيلاء على ما لم يسرق فى المرة الأولى . وكانت سرقة حقيقية فى تلك المرة غير مقتلة .

- لويين بالطبع .

- كلا . فلويين لا يتصرف بمثل ذلك الغباء ، ولا يطلق الرصاص على الناس مهما كان السبب .

- من إذن .

- بريسون نون أى شك . بدون علم السيدة التى هدها . بريسون هو الذى دخل هنا ، وهو الذى طاردته وهو الذى أصاب صديقى واطسون المسكين .

- هل أنت واثق مما تقول ؟

- كل الثقة . فقد كتب له أحد شركائه أمس ، قبل انتحاره رسالة تثبت أنه وجدت مفاوضات بين هذا الشريك وبين لويين لاسترداد جميع المسروقات .

وطالب لويين بكل شىء : الشىء الأول (أى المصباح) وكذلك الأشياء الأخرى التى سرقها فى المرة الثانية . ثم أنه كان يراقب بريسون . وعندما مضى هذا الأخير إلى شاطئ النهر مساء أمس تعقبه أحد رجال لويين فى نفس الوقت الذى كنا نتعقبه فيه .

- وماذا فعل بريسون على شاطئ النهر ؟

- علم أنتى أنتقدم فى تحقيقى .

- ومن علم ؟

- من نفس السيدة . وكانت تخشى أن يتسبب اكتشاف المصباح فى اكتشاف مغامراتها . علم بريسون إذن فجمع فى صرة واحدة كل ما يمكن أن يورطه والقهاها فى مكان يستطيع منه استعادتها بعد أن يزول النظر . وإذا رأى أثناء عودته أنتى أطارده ، أنا وجانيصار ، ولما كان سيره يثقله بسبب جرائم أخرى فقد فقد عقله وانتحر .

- ولكن ماذا كان فى تلك الصرة .

- المصباح وتحفك الأخرى .

- من ليست معك إذن ؟

- بعد أن اختفى لويين ، انتهزت فرصة الحمام الاجبارى الذى ارغمنى لىكى أمضى إلى المكان الذى اختاره بريسون ، ووجدت الصرة وبها المصباح المسروقة ، ملفوفة فى قطعة من القماش المشمع . وما هى على هذه الصرة .

- من غير أن ينطق البارون بكلمة ، قطع النوبارة والقماش المبطل وأخرج المصباح ، وأدار صامولة صغيرة فى أسفلة وعالج الوعاء بيديه

الاثنين ، وفك وفتحته من ناحيتين متساويتين ، ووجد التحفة الذهبية المرصعة بالياقوت والزمرد .

كان في ذلك المشهد الطبيعي جداً في ظاهرة والذي يبدو كمجرد عرض للحقائق شيء مثير ومأساوي ، وهو الاتهام القاطع الذي وجهه هولمز في كل كلمة من كلماته إلى الأنسة ، وكذلك صمت أليس ديمون العجيب .

فإنشاء ذلك الحديث الطويل القاسي الذي تدعمه الأدلة لم يصدر من الفتاة ما ينم على التمرد أو الخوف . فغميم كانت تفكر . ثم ماذا ستقول عندئذ سيتعين عليها أن ترد وأن تدافع عن نفسها وتحطم الحلقة الحديدية التي أحاطها بها هولمز بكل براعة .

ودقت تلك اللحظة ، ومع ذلك فقد لاذت الفتاة بالصمت . وصاح مسيو دمرفال :

- تكلمى .. تكلمى إذن .

ولكنها لم تنطق ، فعاد يقول في إصرار :

- كلمة واحدة تبررين بها نفسك ... كلمة أنكار فأصدقك .

ولكنها لم تنطق بتلك الكلمة .

واجتاز البارون الغرفة بسرعة ثم عاد أدراجه . وعاد فاجتازها من جديد . وخطب هولمز :

- كلا يا سيدى . لا يمكن أن أصدق . هناك جرائم مستحيلة ، وهذه تتنافى مع كل ما أعرف وكل ما أرى منذ سنة .

والتي يده على كنف الانجليزية وأردف :

ولكن ، أنت نفسك يا سيدى ... هل أنت واثق تماماً أنك غير مخطيء .

تردد هولمز كرجل هوجم فجأة ولم يسعفه الوقت للدفاع . ومع ذلك فقد نسج وقال :

أن الشخص الوحيد الذي اتهمه كان يعرف بحكم وضعه في هذا البيت أن هذه التحفة الفريدة موجودة في الصباح .

نتم البارون : لا أريد أن أصدق .

سلفها بنفسك .

وكان ذلك في الواقع هو الشيء الوحيد الذي لم يحاوله للثقة العمياء التي نوحبها إليه الفتاة . ومع ذلك فما كان يوسع تجاهل الأمر الواضح . فاقرب منها وحدها بعينيه وقال :

- أهي أنت يا أنسة ؟ . أ أنت التي أخذت التحفة ؟ ... أ أنت التي راسلت لرسين لويين واقتعلت السرقة .

أجاب : نعم يا سيدى .

ولم تغض الطرف . ولم يبد على وجهها خجل أو ارتباك ، فتمتم :

- هذا غير ممكن . ما كنت لأظن أبداً .. أنت آخر شخص أشك فيه ..

كيف فعلت ذلك أيتها التعسة ؟

قالت : أننى فعلت كما قال مسيو هولمز . أتيت في مساء يوم السبت إلى هذا المخدع وأخذت الصباح ، وفي الصباح ... أعطيت لذلك الرجل .

صاح البارون : ولكن لا ... أن ما تقولين غير مقبول .

- غير مقبول ... ولماذا ؟

- لأننى وجدت فى الصباح باب هذا المندع موصداً بالمزلاج .

اضطرم وجهها ، وارتيكت ، ونظرت إلى هولمز كما لو لكى تطلب منه النصح . ودهش هولمز لارتباكها أكثر من دهشته لاعتراض البارون . أليس لديها ما ترد به ؟ هل اعترافها بما قدمه من تفسير سرقة الصباح يخفى اكثوية تهتم الاستقصاءات التى قام بها . وعاد البارون يقول

- كان هذا الباب مغلقاً . وازكد أننى وجدت المزلاج فى موضعة كما تركته بالأمس ، فلو أنك دخلت من هذا الباب كما تزعمين فقد كان لابد أن يفتحه لك أحد من الداخل ، أى من مخدعنا أو من غرفتنا . ولم يكن هناك أحد فى هاتين الغرفتين . لم يكن هناك أحد غيرى أنا وزوجى .

إنحس هولمز فجأة ، ودفن وجهه بين يديه لكى يخفى احمراره . فإن شيئاً كما لو أنه ضوء عنيف صدمه وتركه مبهوراً ، ضيق الصدر . فقد تكشف أمامه كل شيء ، كمنظر مظلم انقشع عنه الظلام فجأة .

كانت أليس ديمون بريئة .

أليس ديمون بريئة . كان هذا أمراً مؤكداً ، وكان فيه فى نفس الوقت تفسيراً للضيق الذى أحس به فى أول يوم اشتبه فيه فى الفتاة . كان يعلم . وولى أمام عينيه على الفور الدليل القاطع على براءتها .

ورفع رأسه ، وبعد بضع لحظات حول عينيه ، وبطريقة طبيعية ، ويقدر ما استطاع نحو مدام دامبرفيل .

كانت شاحبة شحوب المرء عندما تواجهه أشد ساعات حياته حرجاً . وكانت تحاول إخفاء يديها اللتين سرت فيهما الرعشة . وفكر هولمز لحظة

تبرى وتقصع نفسها .

وتقف بينها وبين زوجها وبه رغبة ملحة فى إبعاد الخطر المخيف الذى يهدد حياة ذلك الرجل وتلك المرأة ، وذلك بسببه هو . وسرت الرعشة فى كل مكانه ، فإن نفس الحقيقة التى بهره ضوؤها أضأت وجه البارون ، وفهم بهره كل شيء .

وفى محاولة يائسه وقفت أليس ديمون ضد الحقيقة فقالت :

- أنت على صواب يا سيدى ، فقد أخطأت . والواقع أننى لم أدخل من هذا الباب وإنما مررت بالردهة ثم بالحديقة واستعنت بالسلم ..

جهد يائس للاخلاص . ولكن لا طائل منه ، فقد نطقت كلماتها بالذات بزيفها . وكان الصوت غير ثابت ، ولم يعد للمخلوقة الرقيقة نفس العينين الصادقتين ، فاطرقت برأسها وقد أحست بالهزيمة .

كان الصمت قظيعاً . وانتظرت مدام دامبرفال وقد اصفر لونها وتوترت لى وقفتها من قرط القلق والهلع . وبدأ البارون كأنه لا يزال يقاوم ، كما لو أنه لا يريد أن يصدق أنه يارب سعادته . وتمتم :

- تكلمى ... بررى لنفسك .

قالت فى صوت خافت جداً ووجهها شديد التوتر :

- ليس لدى ما أقول يا صديقى المسكين .

- إذن . والأنسة ؟

- أن الأنسة انقذتنى . باخلاصها .. وحبها . وياتهامها لنفسها .

- انقذتك ؟ .. ومن أى شيء ؟

- من ذلك الوغد .

- بريسون ؟

- نعم . فقد كان يهددنى أنا ... عرفته عند صديقه لى .. وكنت من الجنون بحيث استمعت إليه .. أوه . لا شيء يستحق غفرتك .. ومع ذلك فقد كتبت إليه رسالتين . ستراهما .. فقد اشتريتهما منه .. وأنت تعرف كيف .. أوه . ترفق بى .. فشد ما عانيت وبكيت .

- أنت .. أنت يا سوزان ؟

ورفع قبضتيه المضمومتين عليها بهم بأن يضربها . وعلى استعداد لأن يقتلها . ولكن زراعيه تهدلتا إلى جانبيه وتمتم من جديد

- أنت يا سوزان ؟ . أنت ؟ .. أهذا ممكن ؟

وبعبارات قصيرة مبتورة روت المغامرة المبتذلة المحزنة . وصحونها المزعورة أمام قضاة الرجل . وتبكيك ضميرها . وخوفها . وتكلمت أيضاً عن إخلاص أليس ووفائها . فان الفتاة خمنت بأى سيدتها فانتزعت منها اعترافها وكتبت للورين . وديرت قصة تلك السرقة لا نقاذها من بواطن بريسون .

وعاد مسيو داميرفال يقول وقد نقوس ظهره

- أنت يا سوزان ؟ . كيف أمكنتك ..

فى مساء نفس اليوم كانت السفينة * مدينة لندن * التى تنتقل ما بين

نابا ريدولفر نبحر البحر الساكن فى بطء . كانت الليلة معتمة وهادئة . لاسحب الخفيفة تحلق فوق السفينة وتفصلها عن المكان اللانهائى حيث تنزير القمر والنجوم .

ويضى أغلب الركاب إلى قمراتهم والصالونات . ومع ذلك فقد بقى منهم يمشون على سطح الباخرة فى حين تمدد البعض الآخر فوق المقاعد المستطيلة . تحت أغطية سميكة . وكان يرى هنا وهناك ومضات لسيجارة . وينتهى إلى الاسماع الأصوات التى لا تريد أن ترتفع وتقطع سمع العميق المهيب .

وراح أحد الركاب يتمشى فى خطوات منتظمة . بطول حاجز السفينة . يوقف أمام فتاة مستلقاة فوق مقعد . ونظر إليها فاحصاً . وإن رآها تترك قليلاً قال :

- كنت أظنك نائمة يا انسة أليس .

- كلا . كلا يا مسيو هولمز .. لا أريد أن أنام ... كنت أفكر .

- فيم ؟ أأكون متطفل إذا سألتك ذلك ؟

- كنت أفكر فى مدام داميرفال . لا ريب أنها حزينة . فقد ضاعت حياتها .

أسرع يقول : كلا . فان غلطتها ليست من تلك التى لا تغتفر سينسى مسيو داميرفال هذه الغلطة . بل أنه كان ينظر إليها بأقل قسوة ونحن نغادر

القصر .

- ربما .. ولكن النسيان سيطول .. وهى تتألم .

- أنك تحبينها كثيراً ؟

- نعم . وذلك هو الذى منحنى القوة لكى ابتمسم وأنا ارتجف من

الضوف ، ولكي أنظر إليك مواجهة في حين أنني كنت أتمنى الهرب .
- ويحزنك أن تفارقها ؟

- يحزنني جداً ، فليس لي أهل ولا أصدقاء . لم يكن لي غيرها .

قال الانجليزي وقد بلبله هذا الحزن :

- سيكون لك أصدقاء . وأعدك بذلك .. فان لي علاقات .. ونفوذ كبير .
وأؤكد لك أنك لن تنسى على وظيفتك .

- ربما . ولكن لن تكون مدام داميرفال هناك .

ولم يتبادر له أى حديث آخر . ودار شرلوك هولمز مرتين أو ثلاث مرات
بالباحرة ، ثم عاد وجلس بجوار زميلته في السفر .

وأخذ الضباب يتقشع ، وبدا كان السحب تتفصل عن السماء ولعت
النجوم . وأخرج هولمز غليونه من جيب معطفه وحشاه ، ولم يفلح في إشعال
عيدان الثقاب الأربعة التي حكها الواحد بعد الآخر . ولما لم يكن معه غيرها
فقد نهض ، وقال لرجل يجلس على بعد خطوات :

- هل أجد معك عوداً من الثقاب .

أخرج الرجل عوداً من علبة معه وحكه . وظهرت شعلة على الفور رأى
لوبيين على ضوئها أرسين لوبيين .

ولولا تلك الحركة البسيطة ، وهي حركة ارتداد تكاد لا تلاحظ لا يفترض
لوبيين أن هولمز كان يعلم بوجوده على الباحرة . ولكن والحق يقال بقي
الانجليزي سيد نفسه . ومد يده بحركة طبيعية جداً لغريمه وهو يقول :

أراك دائماً في صحة جيدة يا مسيو لوبيين .
هاتف لوبيين وقد أعجبه هدوء الانجليزي : مرحى !
- مرحى . ولماذا ؟

- لماذا ؟ .. أنك ترانى أظهر أمامك كما لو كنت شبحاً ، بعد أن شاهدتني
أترق في نهر السين ، ومع ذلك فيبيروود ، بل بمعجزة من البرود الانجليزي
المرغوب لم تصدر منك بادرة ذهول ، ولا كلمة دهشة . ولعمري أعود فأقول
مرحى .. هذا عجيب .

- ليس هذا بعجيب ، فقد رأيت من طريقة سقوطك من فوق القارب أنك
تسقط طواعيه وأن رصاصة الشرطى لم تصيبك .
- وانصرفت أنت قبل أن تعرف ما حدث لي .

- ما حدث لك . كنت أعرف أنك ، فقد كان هناك خمسمائة شخص
يتحكمون في مساحة نحو كيلو متر من ضفتى النهر ، وكان اعتقالك اكيداً
إذا نجوت من الموت .

- ومع ذلك فما أنذا أمامك !

- مسيو لوبيين ، هناك شخصان في الدنيا لا يدهشنى فيهما شيء . أنا
أولهما ثم أنت .

وهكذا تصالح الرجلان .

فإذا كان هولمز لم يفلح في اجراءاته ضد ارسين لوبيين ، وإذا كان لوبيين
قد بقى بالنسبة له العدو الاكبر الذى لايد له أن يتخلى نهائياً عن اعتقاله ،

وإذا كان يحتفظ دائماً بالتفوق أثناء النضال ، فإن الانجليزى ، قد وجد
بإصراره العجيب المصباح ، كما سبق أن عثر على الماسة الزرقاء . ولعل
النتيجة هذه المرة أقل بريقاً ، ولا سيما من وجهة نظر الجمهور لأن هولمز
اضطر أن يلزم الصمت عن الظروف التى أعاد بها المصباح وأن يعلن أنه
لا يعرف اسم الجانى . ولكن من رجل لوجل ، ومن لويين لهولمز ، ومن الخير
السرى للسر لم يكن هناك بحق لا غالب ولا مغلوب ، فإن كلا منهما يمكن
أن يزعم أنه على قدم المساواة مع الآخر من ناحية الفوز .

وتبادلا الحديث إذن كغريمين لطيفين ألتيا بأسلحتهما ، وقدر كل منهما
الأخر حق قدره .

وتلبية لرغبة هولمز ، روى لويين كيفية هربه فقال :

- ذلك إذا كان يمكن أن نسمى ذلك هرباً ، فقد كان الأمر بسيطاً جداً .
كان اصداقائى مرابطين فى المكان ، لأننا كنا قد تواعدنا على اللقاء لانتشال
المصباح . ويعد أن بقيت نصف ساعة تحت القارب المقلوب ، انتهزت لحظة
كان قولفان ورجاله يبحثون فيها عن جثتى بطول الضفتين وصعدت فوق
حطام القارب ، والتقطتى زملائى وهم يعرون بى بزورقمهم البخارى ،
وانطلقوا تحت العيون المذهولة لخصانة رجل ، ومعهم جانيمار وقولفان .
صاح هولمز : عظيم جداً .. والأين ، أليدك عمل فى انجلترا ؟ ..
- نعم .. تصفية بعض الصايات .. ولكننى نسيت .. ومسيو دامبرفال ؟
- أنه يعرف كل شىء .

- أه يا استاذى العزيز ! ماذا قلت لك ؟ أن الضرور لا يمكن إصلاحه
الآن ، ألم يكن من الأفضل أن تتركنى اتصرف وفق إرادتى ؟ .. لو أنك

تفكرت يوماً أو يومين لا سترددت المصباح والتحف من بريسون ولأعدتها
بى دامبرفال ، ولباشر هذان الزوجان الباسلان حياتهما فى هدوء ولكن
بلا من ذلك ..

ضحك هولمز وقال : بدلا من ذلك عقدت الأمور ويزرت الشقاق فى أسرة
كنت تكلامها بحمايتك .

- يا الهى ! .. نعم . كنت أحميها . وهل من الضرورى أن أسرق دائماً
وأفدع ؟

- إنى فئت تفعل الخير أيضاً .

- عندما أجد الوقت ، ثم أن هذا يستهوينى . وأرى أن من الغريب حقاً
لنى قمت فى المقامرة التى شغلتنا بدور ملاك الخير الذى يسعف وينقذ فى
حين أنك أنت قمت بدور ملاك الشر الذى يجلب اليأس والدموع .

احتج الانجليزى قائلاً : الدموع ! ..

- طبعاً . فإن أسرة دامبرفال قد تقوضت وأليس ديمون تبكى ..

- لم يكن بمقدورها أن تبقى ، فقد كان لا بد أن يكتشف جانيمار الحقيقة ،
ومنها يصل إلى مدام دامبرفال .

- أنسى أشاركك الرأى تماماً يا استاذ .. ولكن من المخطىء .

مر أمامهما رجلان . وقال هولمز يخاطب لويين بلهجة تغيرت قليلاً :

- هل تعرف من هذان السيدان ؟

- أظن أن أحدهما قبطان الباخرة ؟

- والآخر ؟

- لا أعرفه .

- أنه مستر أوستن جيليت ، ووظيفته في إنجلترا تعادل وظيفة مسيو دينوا ، مدير الأمن في فرنسا .

- أه - يا لها من فرصة - هل تتكرم وتقدمني إليه . أن مسيو دينوا من أعرأ أصدقائي ، ويسرني أن أقول نفس القول عن مستر أوستن جيليت .

وظهر الرجلان من جديد فقال هولمز وهو ينهض :

- وإذا عملت بكلمتك ؟

وكان قد أمسك بمعصم أرسين لوبين وراح يضغط عليه بقوة .

- لماذا تضغط بقوة هكذا يا أستاذ ؟ ... انتي على استعداد لأن أتبعك .

والواقع أنه استسلم له دون مقاومة . وكان الرجلان قد ابتعدا ، فأسرع هولمز خلفهما وقد انغرزت أصابعه في لحم لوبين بالذات . وقال في صوت أصرم ، في نوع من العجالة المحصومة لكي يفرغ من الأمر بأقصى سرعة :

- هيا .. أسرع .

ولكنه لم يلبث أن توقف فجأة ، فقد تبعتها أليس ديمون ، وقال :

- ماذا تفعلين يا أنسة ؟ .. ليس هناك داع .. لا تأتي معنا .

وكان لوبين هو الذي رد فقال :

- أرجوك أن تلاحظ يا أستاذ أن الأنسة لا تتبعنا طواعية ، فانتني اضغط على معصمها بنفس القوة التي تضغط بها أنت على معصمي .

- ولماذا ؟

- كيف هذا ؟ ولكنني اتمسك جداً بأن أقدمها هي الأخرى ، فإن دورها في قضية المصباح أكثر أهمية من دوري ، فبصفتها شريكة أرسين لوبين ، وشريكة بريسون ، يجب أن تروى هي الأخرى قصة البارونة دامبرفال ، وهي قصة ستهم العدالة .. وبهذا تكون قد ذهبت بتدخلك في صنع الخير إلى أقصى الحدود .. يا لك من رجل كريم يا هولمز !

أطلق الانجليزي معصم أسيره .. وأطلق لوبين معصم الفتاة .

ووقفوا جامدين بضع لحظات ، وكل من الرجلين أمام الآخر ، ثم عاد هولمز إلى مقعده وجلس ، وعاد لوبين والفتاة إلى مكانيهما . وقال لوبين :

- أرايت يا أستاذ .. مهما صنعنا فلن نكون أبداً في نفس الجانب ، فسوف تقف أنت في ناحية من الهوة وأنا في الناحية الأخرى . يمكن أن يحيى كل منا الآخر وأن يصفح كل منا الآخر ولكن ستكون الهوة بيننا دائماً .. ستكون أنت البوليس السري شرلوك هولمز دائماً وسأكون أنا اللص

أرسين لوبين دائماً ، وسينساق شرلوك هولمز تقريباً مع غريزة كبوليس سري ويطارد اللص ويحول أن يعتقله إذا أمكن ، وسيحاول أرسين

لوبين أن يتجنبه ويهزأ به إذا استطاع .. وقد استطاع هذه المرة .. أه ... أه ...

أه ... أه ...

أه ... أه ...

أه ... أه ...

أه ... أه ...

أه ... أه ...

أه ... أه ...

أه ... أه ...

أه ... أه ...

وأخرج من محفظته بطاقة قطعها نصفين وناول نصفاً منها إلى الفتاة
وقال في انفعال واحترام :

- إذا لم يفلح مستر هولز في مساعيه فاذهبى إلى الليدى سترونجبولو ،
وستجدين عنوانها بسهولة ، وقدمى لها نصف البطاقة وقولى لها هاتين
الكلمتين « ذكرى أمينة » فتخلص لك الليدى سترونجبولو كما لو أنك اختها .
قالت الفتاة : شكراً .. سأمضى إلى هذه السيدة غداً .

هتف لويين في ارتياح رجل أدى واجبه :

- والآن يا استاذى العزيز ، اتمنى لك ليلة طيبة ، فما زالت أمامنا ساعة
قبل الوصول إلى البر ، وسأنتهز هذه الفرصة .
وتمدد بطول جسده ، وعقد يديه خلف ظهره .

كانت السماء مفتوحة أمام القمر . وناقق نوره الرائع حول النجوم وفوق
سطح البحر ، وراح يطفو فوق صفحة الماء ، وفى اللانهائية ، حيث تقوب
آخر السحب .

وانفصل الشاطئ من الأفق المظلم ، وصعد الركاب إلى سطح الباخرة ،
ومر مستر اوست جيليت وبرتقته رجلان عرف هولز أنهما ضابطين من
البوليس الانجليزى .

وكان لويين راقداً فوق مقعده .

تمت